الإحصاء
في أنواع الفنون والعلوم باستقصاء

(تقاسيم العلوم)

تأليف

أحمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ سيدي

الحسني

الشنقيطي

بسم لله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

اللهم صل على محمد وعلى ءال محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى ءال محمد كما باركت على ءال إبراهيم في العلمين إنك حميد مجيد

قال أحمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ سيدي

يختلف حصر أصناف العلوم باعتبار غاياتها وموضوعاتها ومستمدها وهذا أحسنها فالعلوم كلها نقلية وطبعية وفعلية ولا تحصر فى الأول خلافا لأبى محمد بن حزم والعلوم من حيث هي كمال للنفس منتقش فى القوة العاقلة وغايتها التمييز عن المشاركات فى النوع والجنس بالسعادة الأبدية ويحرك الهمم الصادقة إلى طلب المعالى بالعلم ارتفاع بعض الحيوانات عن بعض بصناعة واحدة ومعرفة شرف العلوم وتوقف النظام الدنيوي والديني عليها وإسناد الخشية والتعقل إلى أهلها وكفى بالعلم شرفا أن كلا يدعيه وبالجهل ضعة أن كلا يتبرأ منه ولما كانت كثرة تآليفه عائقة عن التحصيل وتشعب فنونه محتاجا إلى الإحصاء والتفصيل ومناهج المعلمين مختلفة في التوصيل والأخذ فيه في غير الأهم من الأعم إلي الأخص أسهل من عكسه في التعلم استعنت بالله وعليه توكلت على ذكر أصول فنونه وأمهات كتبها ومباحث عزيزة في مختصر ليكون الطالب علي بصيرة فلا تذهب أيامه وأوقاته فى

التنقل والتكرير والتصفح والتدرير فلكل فن أصول لانهاية لفروعها ولا إحاطة بجموعها وليكن محط همة الطالب فى كل فن غايته وثمرته لا ءالته ومسائله وموضوعه وتعريفه وواضعه ونسبته من العلوم ومستمده وفضله وحكمه واسمه وهذه المسائل العشر هي المقدمات الواجب علمها عند دراسة كل فن لأن الغرض من غرس الأشجار الظل والثمرة ومن البيع والشراء منفعة المتملك لا عدد أغصان الشجر وأجزاء المبيع أو حجمهما أو لونهما أو قدرهما فهذه مقدمات تجب مراعاتها لأجل كمال الغاية والثمرة وليست مقصودة لذاتها فليعلم ذلك ومقاصد التأليف الاستنباط وفتح المستغلق وتصحيح الغلط والخطإ وتتميم الناقص وتهذيب المختلط وتمييز المتفرق واختصار الطويل فتلك سبعة قصدت خامسها وسابعها وجعلت ذلك في ثلاثة فصول الفصل الأول في العلوم النقلية الفصل الثاني في العلوم الطبعية الفصل الثالث في العلوم العملية وهذا الفصل الثالث كأنه نتيجة الأولين ويجري مجري الخاتمة والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به نعم المولى ونعم النصير

الفصل الأول فى العلوم النقلية

العلوم النقلية علوم الشرائع وهي ستة علوم القرءان والسنة وعلم الفقه والعقائد والتصوف والغيب

أما علوم القرءان فهي قراءته ورسمه ونقطه وفواصله وإعجازه ونزوله وأجزاؤه ونسخه ومشتبهه وفضائله وخواصه وأمثاله وبيانه

فالقراءات والرسم والنقط والفواصل أحسن وأجمع ما وضع فيها كتب الشاطبي وأبى عمرو الداني وابن الجزري والقراءة من القرء وهو الجمع لأن القارئ يجمع الكلمات بالتركيب وهي علم يتعلق بصفة النطق بالكلمات القرءانية على ما أنزلت به وأول من صنف في القراءة والتجويد موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني

والرسم الأثر وهو علم يتعلق بكتابة القرءان على ما كتبها عليه الصحابة وواضعه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وعلى رأسهم زيد بن ثابت ومستمده من كتابة الهجاء على القواعد المعلومة إلا حروفا قليلة منه خالف فيها الصحابة القواعد الهجائية وبعضها وجد لها أهل الفن أوجها وبعضها لا وجه له على القول الأوجه ولا يلتفت إلي قول الزمخشري القائل إن أكثر مسائل الرسم مخالف للهجاء فإن قيل كيف يكون مستمده من القواعد الهجائية وهذه القواعد إنما قعدت بعد الصحابة أجيب بما سيأتى عن ابن فارس فى علم الخط إن شاء الله تعلى وحكم تعلمه الوجوب الكفائي وحكم اتباعه الوجوب العيني عند الجمهور وذهب البيهقي وابن تيمية إلى أن حكم اتباعه الاستحباب

والنقط وضع النقط لأن الحركات فى وضع أبى الأسود الدؤلى إنما كانت نقطا والمراد به ما يستدل به على ما يعرض للحرف من تغيير وواضعه أبو الأسود الدؤلى ثم زاد فيه يحيى بن يعمر والخليل بن أحمد وقيل هو توقيفى كالهجاء على ما سيأتى عن ابن فارس إن شاء الله ويقال فى حكمه كما قيل فى الرسم

والتفسير من الفسر وهو الكشف واختلف فى الفرق بينه وبين التأويل وهو علم يتعلق بالوقوف على أقرب معنى من مراد الله عز وجل فى كتابه ومثل هذا يقال فى شرح السنة أيضا والتفسير أحسن ما وضع فيه كتاب الطبري وابن عطية والقرطبي وكشاف الزمخشري حسن للعارف بالمذاهب السنية

وأحسن ما وضع فى التسعة الباقية من علوم القرءان كتاب السيوطي الاتقان وكتاب الزركشى البرهان وكتاب السخاوى جمال القراء وقد اختصرت بحمد الله كتاب الإتقان وأضفت إليه جواهر مما وقفت عليه فى غيره فى مختصر سميته البصائر في علوم القرءان الدواثر

وأحسن ما قيل فى الإعجاز قول أبي الفضل القاضى عياض وأحسن ما وقفت عليه فى ناسخه ومنسوخه قصيدة السيوطى وهي فى الإتقان وما رأيت للمتشابه أفضل من التبحر فى علم العربية ولعلم الدين السخاوى كتاب مفيد فيه نظم به أول كتاب وضع فيه وضعه الكسائي

وخواص القرءان قل من يؤلف فيها لأنها إنما عول فيها العلماء علي التجارب والمنامات وفي زاد المعاد لابن القيم والإتقان للسيوطي نبذ من ذلك

صالحة وقد جمعت فيها جزءا جامعا بحمد الله أعجل لقارئ هذا الكتاب كلمتين جامعتين منه أولاهما أن يعلم أن أعظم ءاية في كتاب الله ءاية الكرسي وأن سورة الفاتحة ما أنزل الله في التورية ولا في الإنجيل ولا في القرءان مثلها فليعول عليهما الراقي في شأنه كله يكن من المفلحين

وأما السنة فعلومها الأسانيد والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وأقسام التحمل وكتابتها وصفة الرواية والأداء وترجع إلى نوعين علم الرواية وعلم الدراية وأحسن ما وضع فى هذه العلوم بعد كتب المتقدمين مقدمة ابن الصلاح ونظمها للعراقي والسيوطي وشرح السخاوى على نظم العراقي واعلم أن هذا الفن فن جليل ازدحمت فيه أذهان الفحول وسخمت أقلامهم فيه القراطيس حتى ذللوا منه صعبه ومهدوا حزنه فلا ينبغ للقارئ أن يتعجل فيه التقدمة بل ولا أن يدعيها أبدا فهو علم عظيم كلما ظن دارسه أنه توطن سفينه وأمن التطمت لججه وجاءه الموج من كل مكان فحسب المرء فى هذا الفن المذاكرة وإن رزقه الله أن قدمه أهل الفن فلا يغتر وهو خلاف الفنون الأخر فإن المرء قد يدرك منها حظا يعلم به صحيح مالم يدرك من سقيمه والناس لهم فيها ءاراء مجانبة للصواب لخلل من جهة أخرى فلا تترك من أجلهم التصورات الصادقة ولا التصديقات الناطقة

وأما كتب السنة فمعلومة ولكن شروحها لا بد من ذكرها فمن أهم شروحها التي لا غني عنها كتب غريب الحديث المذكورة في المتون السابقة في هذا العلم ثم التمهيد والاستذكار لابن عبد البر علي الموطإ لمالك والمسالك علي موطإ مالك لابن العربي والإفصاح لابن هبيرة علي الجمع

بين الصحيحين للحميدي ثم إن أمهات شروح صحيح البخاري فتح الباري لابن حجر وعمدة القاري للعيني وإرشاد الساري لأحمد بن محمد الخطيب القسطلاني وأعلام السنن للخطابي والتلويح لمغلطاي وشروحه كثيرة جدا وأمهات كتب شرح صحيح مسلم المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج للنووي والإكمال في شرح مسلم للقاضي عياض كمل به المعلم للمازري والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي وإكمال إكمال المعلم لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبي ذكر فيه أنه ضمنه كتب شراحه الأربعة المازري وعياض والقرطبي، والنووي، مع زيادات مكملة، وتنبيه وشرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي ضمنه المعلم والإكمال والمفهم والمنهاج وأمهات شروح سنن أبي داود معالم السنن للخطابي ومرقاة الصعود إلي سنن أبي داود للسيوطي وأمهات شروح سنن الترمذي عارضة الأحوذي لابن العربي وشرح زين الدين ابن رجب الحنبلي وكتاب النسائي المجتبي لم يشتهر له شرح وأمهات شروح سنن ابن ماجه مصباح الزجاجة، على سنن ابن ماجة للسيوطي والديباجه علي سنن ابن ماجه لمحمد بن موسى الدميري وشرح ابن ماجه لمغلطاي ولم يتمه

وأما علم الفقه فالفقه الفهم وهو علم حكم شرع عملي مكتسب من الأدلة التفصيلية ومنه واجب كفائي ومنه واجب عيني وفائدته إيجاد العبادة والمعاملة على وفق مقتضى الشريعة وينقسم بالضرورة إلى منزع الأئمة فى أقوالهم إن صحت عنهم وإلى الترجيح وكتب المتقدمين فيه وفى جميع الفنون خير لخلوها من التخليط وخيرها كتب أبى جعفر الطحاوي وأبى بكر بن

المنذر وأبى عمر بن عبد البر. وأجمع كتب المذاهب النوادر والرسالة لمؤلفهما ابن أبى زيد والكافي لأبى عمر فى مذهب مالك ومختصر المزنى والمهذب والتنبيه لمؤلفهما أبى إسحاق الشيرازي والوسيط والوجيز لمؤلفهما الغزالي وروضة الطالبين للنووي فى مذهب الشافع وكتاب الكافي والمنتقي لمؤلفهما الحاكم ومختصر القدورى ومختصر الطحاوي والهداية لبرهان الدين المرغينانى وظاهر الرواية وسميت بظاهر الرواية لأنها رويت عن محمد برواية الثقات فهي إما متواترة أو مشهورة عنه وهي ست كتب نقلها محمد بن الحسن الشيباني عن أبى حنيفة وهي الجامع الكبير والجامع الصغير والسير الكبير والسير الصغير والمبسوط والزيادات فى مذهب أبى حنيفة وزاد المستقنع للحجاوي ومختصر الخرقي والمستوعب لمحمد بن عبد الله بن الحسين السامري والكافي لابن قدامة فى مذهب أحمد والسير لداود والاختلاف لابن جابر والمصباح للمنصوري والأصول للرقي في مذهب داود الأصبهاني وكتب الإمام أبى محمد بن حزم جليلة فى العلوم وفى مذهب داود الأصبهاني رحمه الله تعلى ولكن أهل هذا المهذب ينكرون التمذهب بشدة فليس كتبهم خاصة بمذهبهم عندهم. وكتب الأئمة لا غنى عنها فى مذاهبهم كالموطأ والأم والرسالة والفقه الأكبر وكتاب المسائل

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكان أحد المجتهدين ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم، وكتاب المغني للشيخ موفق الدين قلت لقد صدق الشيخ عز الدين وثالثهما السنن الكبير للبيهقي ورابعها التمهيد لابن عبد البر فمن حصل هذه

الدواوين، وكان من أذكياء المفتين وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقا ولابن حزم مصنفات جليلة أكبرها كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال. قال حاجي خليفة والكتب المؤلفة علي المذاهب الأربعة جامع المذاهب وزبدة الأحكام والعيون ومجمع الخلافيات وينابيع الأحكام

وءالة الفقه علم أصول الفقه وعلم القواعد أما أصول الفقه فهو معرفة الأدلة الإجمالية وطرق الاستفادة منها وواضعه الإمام الشافعي علي ما قاله الإسنوي وحكي الإجماع فيه ويصح الإجماع إن لم يثبت كتاب الرأي لأبي حنيفة فيه قال حاجي خليفة قال الإمام، علاء الدين الحنفي، في (ميزان الأصول) اعلم أن أصول الفقه فرع لعلم أصول الدين فكان من الضرورة أن يقع التصنيف فيه على اعتقاد مصنف الكتاب وأكثر التصانيف في أصول الفقه لأهل الاعتزال المخالفين لنا في الأصول ولأهل الحديث المخالفين لنا في الفروع ولا اعتماد على تصانيفهم وتصانيف أصحابنا، قسمان قسم وقع في غاية الإحكام والإتقان لصدوره ممن جمع في الأصول والفروع مثل (مأخذ الشرع) و (كتاب الجدل) للماتريدي ونحوهما وقسم وقع في نهاية التحقيق في المعاني وحسن الترتيب لصدوره ممن تصدى لاستخراج الفروع من ظواهر المسموع غير أنهم لما لم يتمهروا في دقائق الأصول وقضايا العقول أفضى رأيهم إلى رأي المخالفين في بعض الفصول ثم هجر القسم الأول إما لتوحش الألفاظ والمعاني وإما لقصور الهمم والتواني واشتهر القسم الآخر انتهى.

ومستمده من اللغة فقواعده لغوية في الأصل وبذا تميز عن القواعد الفقهية لأن مستمدها من الأحكام الشرعية وأركان الكتب فيه على طريقة

المتكلمين البرهان لإمام الحرمين والمستصفى للغزالي والعمد لعبد الجبار وشرحه لأبي الحسين وعلى طريقة الفقهاء الأصول للكرخى والبدوى والسرخسي والفصول للجصاص وتأسيس النظر وتقويم الأدلة للدبوسي ويكسب الملكة فى ذلك كله البدائع للساعاتي ويغنى عن حفظ الجميع جمع الجوامع لأبي نصر تاج الدين ابن السبكي أو نظمه للسيوطي بشرحه عليه فإنهما جمعا بين الطريقتين وقد سلك إبراهيم بن موسى الشاطبي مسلكا وعرا فى كتابه الموافقات وأضاف إلى الفن فنونا كثيرة واستحسنه الناس ونظمه ابن عاصم الغرناطي فى نيل المني والشيخ ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين الشنقيطي فى المرافق واختصره حمدا بن اتاه وجعله بعض الناس أول كتاب فى علم المقاصد والظاهر خلاف ذلك وليس المقاصد علما مستقلا بل هو من مسائل الأصوليين وبعضهم يتبحر فيه حتى يرزقه الله فيه مالا يرزق غيره فيه وهو كعلم بعضهم بأحكام الصلاة دون أحكام الزكاة وبعضهم بأحكام الصيام دون أحكام الجهاد ولا يلزم من ذلك أن تكون الصلاة علما مستقلا بل هذا كله علم فقه وذلك كله علم أصول ويكمل علم الأصول علم الجدل ويسمي ءاداب البحث والمناظرة ووضعت فيه مختصرات كثيرة أشهرها ءاداب الفاضل لشمس الدين محمد بن أشرف الحسيني، السمرقندي وأخصرها ءاداب العلامة لعضد الدين الإيجي قال حاجي خليفة وعن بعض العلماء إياك أن تشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء فإنه يبعد عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة وهو من أشراط الساعة كذا ورد في الحديث ولله در القائل:

أرى فقهاء هذا العصر طرا أضاعوا العلم واشتغلوا بلم لم
إذا ناظرتهم لم تلق منهم سوى حرفين لم لم لا نسلم

وأما القواعد الفقهية وتسمى النظائر فهي الأمر الكلى المنطبق على جزئياته وتأخر التأليف فيها وهى عدة الفقيه الذي لا يجتهد وأصول الفقه عدة المجتهد فلذا اختلف أهل العلم فى جواز الفتوى بمقتضاها فمنعها كثير منهم لذلك ولعدم الاتفاق على أكثرها ولأن أرباب المذاهب لا يلتزمون الأخذ بها فى جميع الأبواب بل يأخذون بها أحيانا وهو الغالب ويتركونها أحيانا وفائدة القواعد تسهيل حفظ المسائل وأول من دون هذا الفن وجمعه أبو طاهر الدباس فجمع سبع عشرة قاعدة وقال إن المذهب الحنفي كله راجع إليها ثم تبعه الكرخى فألف الأصول فزاد قليلا ثم تبعه الناس فصنفوا فى مذاهبهم لأن مستمد الفن من الأحكام الفقهية فى الغالب وأجمع الكتب فى هذا الفن كتاب الأشباه والنظائر لأبى نصر ابن السبكي واختصره ابن الملقن والأشباه والنظائر لابن نجيم والمنهج المنتخب للزقاق بشروحه وأحسنها شرح المنجوري وقواعد الأحكام فى مصالح الأنام للعز بن عبد السلم والقواعد النورانية الفقهية لابن تيمية والقواعد الفقهية لوهبة الزحيلى واعلم أن كل مقدم فى فن فتصانيفه مقدمة فى فنه

وأما العقائد فجمع عقيدة فعيلة بمعنى مفعولة لوجوب اليقين فيها وهي ما يجزم المرء باعتقاده مما لا عمل فيه إلا الاعتقاد وحكمها الفرض العيني إجماعا وهي كثيرة تتعدد تعدد طوائف الإسلام وأصولها راجعة إلى قدرية

وجهمية وشيعية وجبرية وخارجية وكرامية وهذه منبوذة عند جمهور المسلمين الذين قرروا ثلاثة مناهج لعلم العقائد

أولها الأشعرية وخير ما وضع فيها عندهم كتب الباقلاني وإمام الحرمين وءالتها عندهم علم الكلام وهو ملكة يقتدر بها المتكلم على نصرة مذهبه وقد اختصرها لهم أحمد المقري في كتابه إضاءة الدجنة

وثانيها السلفية مبنية على التسليم ويذمون علم الكلام ذما شديدا ومما وضع فيها الطحاوية وفى شروح السنة منها مسائل مفرقة وبين كلا الفريقين خلاف لا يضر النسبة والملل للشهرستانى والفصل لابن حزم كتابان جليلان

وثالثها الماتريدية وخير ما وضع فيها كتب الإمام أبى منصور محمد بن محمود الماتريدي وأجمع ذلك التوحيد والتأويلات

وأما غير هذه الثلاث فكثير متعدد تعدد طوائف الملل والنحل وقد جمعت فيها كتابا سميته التذكرة ذكرت فيه طوائف الإسلام ومعتقداتها وطوائف أهل الأهواء ونحلاتها وأصول الأمم وطبيعاتها والخلائف والإمارات وولاياتها وهو كتاب جليل فى هذا الباب وقد عنيت فيه بالصحيح المنضبط وتركت التخليط والتشدق والتفريع وهو شأني فى جميع ما جمعت لأن من أتقن أصول المسائل وقواعدها سهل عليه التفريع ولم تزعزعه أقاويل من لافهم له إلا النقل والجمع والتخليط فقد رأينا كثيرا من طلبة العلم يحملون فروعا لا يعرفون أصولها وإن سئلوا عن الأصل ألحقوها بنظائرها من الفروع ويحملون أصولا لا يعرفون فروعها وإن سئلوا عنها حكوها عن فلان أو فلان وهى

للمسلمين أجمعين فالحذر الحذر إخواني إياكم وحمل ما لا أصل له إياكم وحمل ما ليس مفهوما إياكم وترك الأصول

وأما علم التصوف فعلم يبحث في التزام إحسان العبادة لله على وفق ما شرع بالصدق معه والتحرز من سطوة الدنيا وحسن مسايرة الناس قال الشاطبي وحاصل ما يرجع إليه لفظ التصوف عندهم معنيان أحدهما: التخلق بكل خلق سني، والتجرد عن كل خلق دني والآخر: أنه الفناء عن نفسه، والبقاء لربه وهما في التحقيق إلى معنى واحد. وواضعه غير معلوم بالتعيين وحملته معلومون وهم شيوخ فى الزهد والإقبال علي الله وحكمه الندب دون الوجوب لأنها من الخير ولأن الإنسان قد يستغنى عن علوم التصوف بهداية الله وبتعلمه للعلوم الشرعية لأن ثمرتهما واحدة بل ثمرة العلوم الشرعية أفضل من ثمرة علوم التصوف لأن المقتصر على علوم التصوف قد يكتسب من ذلك التحجر والتضييق حتى لا يرى خيرا فى غير أهل التصوف من المسلمين -كما هو شأن المنتمين لجميع الطوائف في هذا العصر- وقد تفوته أحكام كثيرة يحتاج إليها فى عباداته ومعاملاته لانشغاله بهذه العلوم وهذه السوأة عمت بها البلوى فى الفنون كلها تجد أحدهم يجمع فروع اللغة وأصول الفقه والشواذ وإن سألته عن مسألة مما يجب عليه فى نكاحه أو بيعه أو زكاته وجدت الصبيان أحسن منه حالا وأصول كتب التصوف الرعاية للمحاسبي والرسالة للقشيري وعوارف المعارف للسهروردي والحلية لأبى نعيم وأما كتاب الإحياء للغزالي فإنه كتاب تضاربت فيه ءاراء الناس فمنهم مادح له وهم أكثر العوام والطغام ومنهم ذام له وقد أنكر العلماء عليه قوله فيه ما فى الإمكان

أبدع مما كان فمنهم من غلطه كتلميذه ابن العربي فى سراج المريدين ومنهم من كفره كأهل الأندلس ولاسيما قاضيهم ابن حمدين فأحرقوا الإحياء لذلك ومنهم من قال إن كان يعتقد ما سطره فيه لم يبعد تكفيره وإن كان لا يعتقده فما أقرب تضليله كالطرطوشى وقال لا أعلم كتابا فى بسيط الأرض فى مبلغ علمي أكثر كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه يعنى الإحياء وقال يحرق الإحياء لئلا يضل الناس قياسا على حرق المصاحف الذى فعل عثمان ومنهم متوسط فيقول ينظر فى بعضه ويترك منه ما يتعلق بعجائب القلب ومن هؤلاء القباب وقال الشيخ أبو الحسن المنتصر الغزالي إمام فى الفقه متوسط في أصول الفقه ضعيف فى الاعتقادات قال أحمد الشيخ عبد الله نقل ذلك كله الونشريسي في معياره

وأما علم الغيب فعلم ما يغيب عن الجسد ولذا كان اختبار النفوس بالإيمان بما يجب الإيمان به منه شديدا على كثير من الناس قال ابن خلدون وإذ وجدنا فى عالم الحس ءاثارا من حركات فى عالم الأفلاك والعناصر من أرض وماء وهواء ونار ومن حركات النمو فى عالم التكوين من معادن ونبات وحيوان وإذ وجدنا ءاخر أفق كل نوع مستعدا بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق النوع الذي بعده وجب أن يكون لها مؤثر مباين للأجسام وهو النفس المدركة والمحركة وفوقها وجود آخر يعطيها الإدراك والحركة ولابد وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك أن يكون للنفس من غير اكتساب استعداد من الانسلاخ من البشرية إلى الملكية بغيب عن الجسد وقتا ما فتدرك فيه ما شاء الله أن تدركه من علوم الغيب وذلك عند كمال الروح ورفع الشواغل عنها بما

تحتها من عناصر ومكونات ولا يكون إلا بالنبوة والرياضة والجنون ومفارقة النفس للجسد بموت أو نوم فتلك أربعة. فإذا استعان الإنسان على ذلك الانسلاخ بالأجسام الشفافة كالمرايا وطساس الماء أو عظام الحيوان وسجع الكلام وسجع الطير وسوانحها والطرق بالحصا والحبوب وهو علم الرمل والجفر والجامعة والقرعة فهو الكاهن والعراف ووحيه من نفسه أومن الشيطان والكهانة لم تنقطع ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم خلافا لقوم ولا يلتفت إلى قول أحمد بن نصر الداودي القائل بجواز النظر فى الكتف مستدلا بأن فى الحديث أن الماشية لعقت التوراة من الربيع حين ألقى موسى الألواح لأن هذا إن ثبت من شرع من قبلنا ولا يفيد جواز التطلع إلى علم الغيب ولا أن الماشية علمت الغيب بلعقها للتوراة وإن أفاد ذلك فإن شرعنا ناسخ له ولا إلي قول من أجاز القول بجواز استعمال الجفر والجامعة من العوام والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل لأنه يحظر التطلع إلى علم الغيب أو استعان عليه بصناعة التنجيم فهو منجم لا علم معه إلا التخمين والحدس إذ لا يدرك هذا العلم بصناعة البتة قال الله تعلي **[ما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء]** وقال تعلي **[عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول]**

أما النبوة فعلاماتها خمس غيبة عن الحاضرين حالة الوحي وزكاء الأخلاق والحسب قبل النبوة ودعاؤهم إلى الدين والعبادة والمعجزات الظاهرة البينة ومعنى الحسب والشرف أن يعد الرجل سلفا فى خلال الخير ومخالطة أهله مع الركون إلى العافية ما استطاع ولم يوجد لأحد شرف يتصل الى ءادم

إلا للنبي صلى الله عليه وسلم وحده ونهاية كل حسب فى الأكثر أربعة آباء وأجيال وذلك مائة وستون سنة وخلال الخير التي يتنافس فيها الأجيال إكرام أهل الخير وإكرام ذوي الأحساب وإكرام التجار والغرباء وإنزال الناس منازلهم ومعنى المعجزة الأمر الخارق للعادة وشرطها التحدي فرقا بينها وبين الكرامة والسحر وفيها وفي الكرامة مباحث وهي هل تقع الكرامة للأولياء أو وقوعها لهم ينافي مقتضي المعجزة وهل المعجزة من فعل الله أو من فعل النبي وهل كل ما جاز أن يكون معجزة جاز أن يكون كرامة أما وقوع الكرامة من الأولياء فخالف فيه المعتزلة وأبو محمد بن حزم وابن أبي زيد القيرواني والإسفراييني فمنعها الثلاثة لعدم القيد بالتحدي ومنعها المعتزلة لأن أفعال العباد معتادة وهذا من تناقضهم واختلف القائلون بها أهي باختيار الولي أم هي اضطرارية ترد عليه كما تهجم الأفراح والأحزان مما لا يمكنه دفعه ولا جلبه وأما كون المعجزة من فعل الله أو من فعل النبي فالجمهور من أهل السنة وأهل العلم والمعتزلة يقولون إنها من فعل الله فبان تناقضهم الشديد في هذه المسألة كيف يقولون إنها من فعل الله ثم يمنعونها لأن أفعال العبادة معتادة والفلاسفة يقولون إنها من فعل النبي لأنه مجبول على التصريف فى الأكوان مهما توجه إليها واستجمع لها وفارقها عندهم من السحر كونها فى الخير ومن الكرامة زيادة مزية وأما قول بعضهم ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي فقد رده القشيري وابن السبكي وابن حجر وهو الحق إن شاء الله

ولا تقع المعجزة والكرامة من الكاذب إجماعا لقوله تعالى **[وما نرسل بالايت الا تخويفا]** قال الأشعرية ولئلا ينقلب الدليل شبهة وهو محال لأن صفة نفس المعجزة التصديق والهداية لا لأن ذلك قبيح خلافا للمعتزلة ولا يقع السحر من الولي إجماعا

وأما الرياضة فبالموت الصناعي حتى يقع انفصام بين الروح والجسد وبالسحر وسيأتي وبالدين وهي طريقة التصوف ولا يقصدون فى بادئ الأمر إلا الالتزام بالشرائع وقصد الاطلاع على الغيب أو التصرف شرك عندهم لقولهم من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ويسمونه فراسة وكشفا ولا يحفلون به كيا سارية الجبل وإن ذا بطن خارجة أراها جارية ولذا قال أبو عمر فى الاستذكار عند هذا الأثر كانت العرب تقول ظن الحليم كهانة وتقول أيضا من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه وتقول أيضا الظن مفتاح اليقين وقال أوس بن حجر

الألمعي الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وروى ذلك عن عثمان وعلي رضي الله عنهما ومما يمدح به الظن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم **لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله عز وجل** وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى **أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء** وقال الحسن البصري إن المؤمن أحسن الظن فأحسن العمل قال أبو عمر وأما ظن الفاسق والكافر والمنافق فمذموم غير ممدوح قال الله تعالى فيهم **[وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا]** وقال **[وإن**

الظن لا يغني من الحق شيئا] وقال النبي صلى الله عليه وسلم **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث.** ومن الصوفية قوم بهاليل يعرفون بعدم خلوهم عن التوجه الى الله وخلقهم على البله وكثرة تصرفهم فى الناس بالخير والشر

وأما الجنون فلعدم ركون الروح للجسد

وأما مفارقة النفس بالموت فلأن النفس أخذت فى المفارقة وما زال أثرها فى الجسد فيتكلم الميت ببقية روحه التي أخذت فى الانفصال إلى عالم الغيب

وأما مفارقة النفس بالنوم فمن مدارك الغيب بلا شك لانصراف الروح عن الحواس إلى القوى الدماغية وخفة شواغل الحس عن النفس لا تخايل لا حقيقة لها خلافا للمعتزلة كإنكارهم للجن والملئكة وصلصة الجرس فالرؤيا قال ابن العربي إدراك بجزء لم تحله ءافة النوم لأمثلة جعلها الله دليلا على المعاني كالألفاظ وقال ابن خلدون مطالعة النفس الناطقة فى ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات واختلافها فى عدد أجزائها لاختلاف الناس في كمال الإيمان وليس المراد رؤيا ذي النبوة ثم زاد من فضله خلافا لأبى محمد وجماعة ولا ستة أشهر من ثلاث وعشرين خلافا لقوم وفى تقسيم النبي صلى الله عليه وسلم ما يغني عن قول كل قائل الرؤيا ثلاثة منها أهاويل الشيطان ليحزن ابن آدم ومنها ما يهم به فى يقظته فيراه فى منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة والأولى هي التي ذكرها صلى الله عليه وسلم فى حديث ءاخر بقوله والحلم من الشيطان والأخيرة هي التي ذكرها صلى الله عليه وسلم فى قوله الرؤيا من الله والجميع خلق الله ولكن الشيطان يحضر

المكروهة ويسر بها فنسبت إليه مجازا ولا يحضر المحبوبة بل تحزنه وليست الأضغاث وما يرى لغلبة المزاج من الرؤيا وعلامة الرؤيا الصادقة التنبه عند رؤيتها وحفظ تفاصيلها وتعبر بأوجه كثيرة والواجب على ذي الديانة أن يسلك بها مسلك الأحكام الشرعية فيعبرها بالقرءان والسنة ثم القياس على ذلك وقول الصحابة والشعر والامثال والتشابه فى المعنى واشتقاق اللفظ وقلبه وتصحيفه وأصول تعبيرها فى خمس آيات أوست من فتح الله عليه فيها وفقهه أدرك

أولها رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم للأعداء ببدر

وثانيها رؤيا يوسف

وثالثها رؤيا صاحبي السجن

ورابعها رؤيا الملك وهذه كنى

وخامسها رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديبية ورؤيا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهي اسم.

ولا يعبرها أحد على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال إنها على ما أولت عليه لأن الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة وقال مالك لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها فإن رأى خيرا أخبر به وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت ولا تكون الرؤيا فى الأكثر بالقصد إليها إلا بالتشوف لأنه يحدث فى النفس استعدادا لوقوع الرؤيا وللشخص أن يستعد بما شاء فلا يختص بالحالومية وهي أسماء أعجمية يقولها عند النوم ويذكر حاجته لأنها إنما تحدث فى النفس استعدادا وعالم الغيب أبو الغرائب وخير ما وضع فى التعبير من الكتب الإشارة للسالمي وقد اعتمد فيه علي كتاب أبي إسحاق

الكرماني والمراقبة العليا أو المرقبة العليا لابن راشد وسماه حاجي خليفة في كشف الظنون المرقية العليا وسماه بعضهم بالمرتبة العليا وتعبير الرؤيا لابن قتيبة وإذ قد فرغنا من هذا التقسيم المعلوم عند أهله فالأسلم عندي والراجح أن الكلام فى هذا الباب و تعليل الإدراك فيه من جنس تعاطي علم الغيب بلا بينة وإن كان التعليل فيه بينا لأن النفس يخدعها الشعر والقياس فالأولى أن نقول إن علم الغيب الأصل فيه الحظر والستر وثبت اطلاع الأنبياء عليه بالمعجزة و ثبتت الرؤيا بالنبوة وغيرهما لا يزال على أصله ولو وجدناه مخالفا لأصله فهو من فعل الله فى خلقه وذلك لا علة له قال الله تعلى**[لا يسأل عما يفعل وهم يسألون]** واعتبر هذا بحديث الأقرع والأعمى والأبرص فاثنان منهما كلمهما الملك وهما من أهل الكذب والبخل وباطلاع بعض أهل الصلاح وحجب بعضهم عليه مع عدم قصدهم له وباطلاع بعض أهل الطلاح وحجب بعضهم عليه مع قصدهم والله أعلم

ثم اعلم أن هذا العلم إنما ذكرته تكميلا للقسمة وتدوينا للفائدة فإنه ليس من علوم الخلق إلا من خصهم الله به كالأنبياء وليس للتدارس فإنه لا يدرك بالدرس ولا بشيء فلا يتوهم أحد أنه يقف على شيء حجبه الله عن خلقه ولن يقف المرء علي شيء منه إلا إن أذن له ومن عاند هذا فهو مكذب للقرءان والسنة ومكذبهما كافر فإن قيل إن الله تعلى قال **[ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي ارض تموت]** ويقول تبارك وتعلى **[وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها**

ولا حبة فى ظلمت الارض ولا رطب ولايابس الا فى كتب مبين] ويقول تبارك وتعلى **[الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار]** ونحن نجد فى هذا العصر اطلاع الأطباء على الأجنة بعد أسابيع قليلة من خلقها واطلاع أهل الأرصاد على نزول الغيث وتحديد موضعه واطلاع المختصين فى علومهم على كثير مما فى البر والبحر فكيف يوفق بين التصديق بالقرءان وما يشاهد بالحواس أجيب بأن لا تعارض بين دلالات الآيات وما نشاهده مما ذكر لأمور

أولها أن الله سبحانه وتعلى يطلع من شاء من خلقه على ما شاء من غيبه والآيات لم تمنع هذا

ثانيها أن الله تعلى إنما خاطب العقول فكما يعلم سبحانه وتعلى الغيب بلا واسطة فإنه لا يمكن للإنسان أن يعلم الغيب بلا واسطة البتة فلابد له من واسطة يعلم بها ما غاب عن حسه وإذا كان ذلك فما الفرق بين أن يعلم الطبيب حال الجنين بآلته وأن يعلمه العامي بشق البطن بالموسى فكلاهما علم ما فى الرحم هذا بموساه وهذا بأشعته فإذا لم تمنع الاطلاع على حال الجنين بالموسى فلا تمنعه بالأشعة فكلاهما آلة ونقول مثل ذلك فى تحديد موضع نزول المطر

ثالثها أن الله سبحانه وتعلى ذكر أنه يعلم ما فى الأرحام ولم يقل يعلم من فى الأرحام ولفظة ما تطلق على ما لا يعلم أذكر هو أم أنثى ومنه **[إني نذرت لك ما فى بطني محررا]** فإذا بلغ مبلغا يعلم أذكر هو أم أنثى فإنه يطلق عليه حينئذ لفظ من والآية لا تتناوله وعلى هذا فإن الأطباء لا يمكنهم

الاطلاع على حال الجنين إلا بعد أن رفع عنه حجاب الغيب وذكر أنه ينزل الغيث ولم يقل ينزل الماء وبينهما فرق كبير فلعل الماء الذى دخلت الصنعة تنزيله لا ينبت ثم إن تنزيله بالصنعة لا ينافى تنزيل الله له ولو قتلت إنسانا لما جاز عند أحد فى العقل أن تقول لم يقتله الله أو لم يمته الله فلا يجرمنك مجرم على الشك فى كتاب الله

رابعها أن الله سبحانه وتعلى يعلم حال المولود ورزقه وأجله وعمله ومآله وطوله ولونه وجماله وعدد كريات دمه البيضاء والحمراء وعوارضه فى بطن أمه وبعد خروجه ونسله وعلمه وقوله وفعله وغير ذلك من أحواله ويعلم حال المطر وعدد قطره وعدد ما ينبت والبركة فيه وما يؤكل من عشبه وموضعه بتحديد دقيق لا يوصل إليه وما يسيل فيه من الأودية وما يفسد من الأبنية وغير ذلك ويعلم كل ما فى البر كله نوعه وعدده وأجله وأكله ونسله وكل ما فى البحر كله كذلك فهل تدرك هذه الأمور أو نصفها بالآلات وهل إدراك بعضها يعارض الآيات **[وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموت مطويت بيمينه سبحنه وتعلى عما يشركون]**

وءالة العلوم النقلية كلها اللغة وإذا أخذ الناس فى الكلام لم يخف على أحد العالم بها من غير العالم بها من بينهم

فاللسان ترجمان الجنان ولبعضهم

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة

إذ ليس يحفظ دين إلا بحفظ اللغات

ومن لم يتعلم اللسان فهو أبكم فليستر على نفسه وليسجن لسانه وليمسك قلمه وفنون الألسنة متنوعة ومرجعها واحد وهو مطابقة دلالة الكلمة أو الجملة لمعناها عند المتكلم والسامع والدلالة دلالتان دلالة أصلية ودلالة تابعة فالأصلية كدلالة قام زيد علي قيام رجل اسمه زيد والتابعة كدلالة هذه الجملة علي مضي معناها وكالتوكيد والحقيق والتعريف والتنكير ونحو ذلك واللسان العربي نوع العلماء فنونه لتنوع تركيب الكلمة والجملة وغير ذلك ونظم الشيخ القاضى العلامة محمد سالم بن عبد الودود فنونه بقوله

فنون علم العربية اشتهر كما لدا الصبان منها اثنا عشر

الغ انح بين اصرف اعن واعرض وقف خط اشتق أنشئ واقرض

حاضر وفي الأخير تأريخ دخل وجعلوا البديع ذيلا ما استقل

أما اللغة فقصده علم المفردات ومعانيها واللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم من لغي كرضى إذا هذى كقوله

ورب أسراب حجيج كظم عن اللغي ورفث التكلم

أو من لغوت إذا تكلمت وموضوع هذا الفن دلالات الكلمات وفيه بحوث كثيرة جليلة استوفاها الأصوليون فى كتبهم وكتب هذا الفن ستة

أولها وأصلها كتاب العين وفيه أقوال فقيل وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي ولم يكمله وقيل أكمل ولكنه خص به الليث بن نصر فأحرقته زوجته من غيرة طافت بها بعد أن مات الخليل فأملاه الليث إلى نصفه من حفظه

ثم جمع علماء عصره فقال لهم مثلوا واجتهدوا فعملوا باقيه وقيل إنما عمل الخليل منه باب العين وحده وعمل الليث باقيه فإذا قال الخليل بن أحمد فنسبه فهو يعنيه وإذا قال الخليل ولم ينسبه فإنما يقصد نفسه وسمى لسانه الخليل وقيل لم يعمله قط وإنما عمله الليث ونسبه للخليل لينفق والصحيح عندهم أنه ليس من وضع الخليل وإنما وضع الخليل قواعده لإطباق جمهورهم على القدح فى كتاب العين وعلى عظم منزلة الخليل فى اللغة وحذقه وذكائه وحدة ذهنه فلا يصدر مثل أخطاء كتاب العين من مثله حتى قال بعضهم إنه لا يجوز الصراط أحد بعد الأنبياء أدق ذهنا من الخليل قالوا وهو واضع العروض وقد كان سبب موته أن كان فى مسجد يذهب ويجيء يفكر فى وضع قواعد للحساب يعملها العوام فارتطم بسارية من سواري المسجد فمات ويذكر أنه كان في مكان منفرد يعقد أصبعا ويمد أخرى فدخل عليه رجل فقال ما أراك إلا مجنونا فأنشأ يقول

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وكتاب العين هذا أفضل منه مختصره لمحمد بن حسن الزبيدي ومختصره أحد المختصرات الأربعة التي فضلت على أمهاتها وباقيها مختصر الزاهر للزجاجي ومختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة وقد نظم ترتيب كتاب العين سلمة بن عبد الله المعافري أبو الفرج فقال

ياسائلى عن حروف العين دونكها — فى رتبة حازها وزن وإحصاء
العين والحاء ثم الهاء والخاء — والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها — صاد وسين وزاي بعدها طاء
والدال والتاء ثم الطاء متصل — بالظاء ذال وثاء بعدها راء
واللام والنون ثم الفاء والباء — والميم والواو والمهموز والياء

وابتدأه بالعين لأنها أكثر فى الكلام تصرفا

وثانيها الجمهرة لابن دريد ولا يخلوا من أخطاء فى مواضع منه لقصر باع ابن دريد فى التصريف ولا يقبل فيه قول نفطويه لأنهما كانت بينهما منافرة فمنها قول ابن دريد

لو أنزل الوحي علي نفطويه — لكان ذاك الوحي سخطا عليه
وشاعر يدعي بنصف اسمه — مستأهل للصفع في أخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه — وصير الباقي صراخا عليه

ومنها قول نفطويه

ابن دريد بقرة — وفيه عي وشره
ويدعي من حمقه — وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا — أنه قد غيره

وأصح نسخ الجمهرة نسخة عبيد الله بن احمد جخْجخْ وكان لأبى على القالي نسخة منها أعطى بها ثلاثمائة مثقال فلم يبعها ثم اشتدت به الحاجة حتى باعها بأربعين مثقالا وكتب عليها

أنست بها عشرين عاما وبعتها   وقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها   ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لعجز وافتقار وصبية   صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي   مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك   كرائم من رب بهن ضنين

فلما قرأ المشترى الأبيات أرسلها إليه ومعها أربعون أخرى واختصر الجمهرة الصاحب إسماعيل بن عباد وسمى مختصره الجوهرة وقال فى ءاخرها

لما فرغنا من نظام الجوهرة   أعورت العين ومات الجمهرة
ووقف التصنيف عند القنطرة

وثالثها الصحاح بكسر الصاد جمع صحيح أو فتحها كشحيح وشحاح وبريء وبراء لإسماعيل بن حماد الجوهري وهو أول من التزم جمع الصحيح من اللغة دون غيره وفيه يقول إسماعيل بن محمد بن عبدوس

هذا كتاب الصحيح سيد ما   صنف قبل الصحاح في الأدب
تشمل أبوابه ويجمع ما   فرق في غيره من الكتب

وفى هذا الكتاب تصحيفات قيل إن سببها أنه لما صنفه سمع عليه إلى باب الضاد ثم عرضت له وسوسة فألقى نفسه من سطح فمات وبقي سائره مسودة وبيضه تلميذه إبراهيم بن صالح الوراق ولم يصل كتاب لغوى فى كثرة التداول إلى ما وصل إليه كتاب الصحاح وما نقصت رتبته على ما فيه من أوهام كثيرة أشار إلى كثير منها الفيرزآبادى فى القاموس وهو فى اللغة نظير صحيح البخاري في الحديث

ورابعها المحكم لعلي بن سيدة

وخامسها العباب للرضى الصغانى وصل فيه الى مادة ب.ك.م فقال بعضهم

إن الصغاني الذي حاز العلوم والحكم

كان قصاري أمره أن انتهي إلي بكم

وسادسها القاموس المحيط للفيرزآبادى اختصر صاحبه فيه ما تقدمه وفيه يقول نور الدين علي بن محمد العفيف المكي المعروف بالعليفي

مذ مد مجد الدين في أيامه من بعض أبحر علمه القاموسا

ذهبت صحاح الجوهري كأنها سحر المدائن حين ألقي موسي

وكتبت زينب بنت أحمد بن محمد الحسنية إلى السيد موسى بن المتوكل تطلب منه القاموس

مولاي موسى بالذي سمك السما وبحق من في اليم ألقى موسى
أمنن علي بعارة مردودة واسمح بفضلك وابعث القاموسا

وهذا الكتاب سهل حمله قريب تناوله عظيم نائله قليل وهمه صعب مرامه وإذا اختصر بحذف المذكور المقيس وحذف البلدان والأعلام وحذف الطب اليوناني وأوهام الجوهري وحذف المكرر وكل مالا يتصل بدلالة الكلمة على أصل المعنى كالأحكام الفقهية وعلم العروض رجع إلى نصف حجمه الذي هو عليه وعجلت فائدته وقد شرحه الامام محمد مرتضى الحسينى الزبيدي فى كتابه تاج العروس وقد عكف الناس قديما وحديثا على فصيح ثعلب فشرحه ابن درستويه والمرزوقي وابن خالويه وابو بكر بن حيان وابن هشام اللخمي وابراهيم بن على الفهري وأبو محمد بن السيد البطليوسي وفيه يقول بعضهم

كتاب الفصيح كتاب مفيـ ـد يقال لقاريه ما أبلغه
بني عليك به إنه لباب اللبيب وصنو اللغة

وقيل هو من تأليف الحسن بن داود الرقى وقيل من تأليف يعقوب بن السكيت ويستحسن الناس أيضا مجمل ابن فارس لاعتنائه بأصول المعاني فى الألفاظ ولسان العرب لابن منظور لاعتنائه بكل ما يتعلق بالمادة من فقه ونحو وتصريف وطب وتفسير وهو كتاب عظيم واعلم أن المعنى إذا كان له لفظان وأحدهما وارد فى القرءان فأفصحهما وأحسنهما في الخطاب والأدب الوارد فى القرءان قال ابن خالويه أجمع الناس أن اللغة إذا وردت فى القرءان

فهي أفصح مما في غيره لا خلاف فى ذلك قال ابن مالك ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس

وأما النحو فعلم يتعلق بحركة الكلمة وما توجبه من عوارض واضعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه فأخذه عنه أبو الأسود الدؤلى فرسم أصوله للناس فأخذه عنه ابنه عطاء ويحي بن يعمر وعنبسة بن معدان الفهري المعروف بعنبسة الفيل وميمون الأقرع وأخذه عن ميمون الأقرع عبد الله بن إسحاق الحضرمي وكان فى عصر عبد الله بن إسحاق هذا أبو عمرو بن العلاء البصري المازني وأخذ عن أبى عمرو هذا عيسى بن عمر الثقفي واضع كتاب الجامع والمكمل اللذين قال فيهما الخليل بن أحمد

بطل النحو الذي ألفتم   غير ما ألف عيسي بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع   فهما للناس شمس وقمر

وأخذ عنه أيضا يونس بن حبيب الضبي وأبو الخطاب الأخفش الأكبر وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت وأبو جعفر الرؤاسي وهو شيخ الكسائي وأول من وضع كتابا فى النحو من الكوفيين وسمى كتابه الفيصل قيل إن كل ما فى كتاب سيبويه من وقال الكوفي إنما يقصد الرؤاسي هذا وأخذ عن أبى عمرو أيضا وعيسى وأبى الخطاب ويونس أبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد وقيل إن كل ما فى كتاب سيبويه من وحدثني من أثق بعربيته إنما يقصد أبا زيد هذا وأخذ عن عيسى أيضا مفتاح العلوم الخليل

بن أحمد الفراهيدي فأخذ عنه النضر بن شميل وأبو محمد اليزيدي وأخذ عن أبى زيد وعن الخليل من انتهى إليه فى البصرة هذا الفن سيبويه فألف كتابه الذى يسميه الناس قرءان النحو فطارت به الناس كل مطير كما انتهى فى الكوفة إلى الكسائي ثم انتقل العلم إلى بغداد وكثر فيها الكوفيون فخدموا الملوك فقدموهم فرغب الناس فى الروايات الشاذة وتفاخروا بالنوادر وتركوا الأصول واعتمدوا الفروع فاختلط العلم هذا مبدأ وضع هذا الفن وأما جوامع المؤلفات فيه فكثيرة لا تحصى وأكثرها لا يخلوا من التخليط الذى لا يجمل بالمرءِ أن يحمله فى هذا الفن لجلالته إذ هو وسيلة فهم وحمل الوحيين وهما فائدته وثمرته فالأحسن أن لا يحمل المرءِ منه إلا الصحيح الحسن وأحسن الجوامع فى هذا الفن ما كان يذكر مؤلفه فيه خلاف المصرين وخلاف البصريين فيما بينهم والكوفيين فيما بينهم لأن الملكة فى كل فن لا تدرك إلا بعلم الخلاف فيه ومن كلام بعض السلف من لم يعرف الخلاف لم يشم رائحة الفقه وإذا كان ذلك فإن مؤلفات الإمام جمال الدين ابن مالك ومؤلفات أبى حيان ومؤلفات ابن هشام ومؤلفات الزمخشري وافية بالمقصود كافية فيه بحيث لا يبقى بعدها منه إلا مالا يحتاج إليه ثم إن ابن مالك رحمه الله تعلى سلك طريقا حسنا فى التأليف تنحصر معالمها فى خمسة أمور

الأمر الأول ذكر مسائل وحكى فيها الإجماع والتزام ما يحكيه من الإجماع عصمة لملتزمه من مخالفته أو قبول ذكر الخلاف فيه لو ذكره من بعده

الأمر الثاني اعتمد فى الاستشهاد على الأحكام بالأحاديث النبوية وقد أنكر عليه فى ذلك أبو حيان وغيره لاحتمال رواية الأحاديث بالمعنى وهو احتمال يتطرق الى جميع الشواهد الشعرية مع احتمالها فى أكثرها لغير ما يستشهد بها عليه ورواية الحديث بالمعنى مختلف فى جوازها بين المحدثين واحتمالها بعيد لأن المحدثين لم يصل أهل فن إلي ما وصلوا إليه من التصحيح والتنقير عن صحة اللفظ والمعنى

الأمر الثالث قد يكون فى المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين ويكون قول أحدهما موافقا للقياس وقول ثانيهما مسموعا عن العرب فى كلام قليل صحيح فينسب القول المقيس للكثرة والقول المسموع للقلة ولا ينسب القولين للمصرين وهو نوع من الإنصاف

الأمر الرابع بذل ابن مالك جهده فى تأليف الكافية وشرحها والتسهيل وشرحه فكانا أعظم كتبه وأودعهما أقوالا متضاربة تضارب أقوال المجتهدين فى فنونهم ومن المعلوم أن شرح التسهيل تأخر عن شرح الكافية لأنه مات عنه ولم يكمله فكان ما فيه ءاخر أقواله والمجتهد إذا علم المتأخر من أقواله فى فنه كان مذهبه وكان القول الأول مرجوعا عنه ولبعضهم فى كتاب التسهيل

ألا إن تسهيل الفوائد في النحو كتاب جليل كل نادرة يحوي

هل الكتب إلا أنجم هو شمسها سناهن يمحي عنده أيما محو

ولبعضهم

ألفظ نظيم ذي الخلاصة أم در | أتلك معان تحت ذا اللفظ أم سحر
فما عرف الأقوام مقدار فضلها | ولكن ثناهم أن مسلكها وعر
كذا يترك الحسناء من بات مغرما | بها مستهاما ليس يمكنه المهر
أتيت بشيء باذخ يابن مالك | فأنت به حي وإن ضمك القبر

وقد عمد المختار بن بونا رحمه الله تعلى الجكنى الشنقيطي إلى التسهيل فنظم منه مسائل لم ينظمها ابن مالك في الألفية وضم نظمه للألفية ثم شرحهما ببعض مسائله وبعض شواهده فقرب البعيد واختصر الطويل وسهل الصعب وجمع المتفرق فأقبل الناس على كتابه درسا وشرحا وتبيينا ومن أحسن ما وضع عليه كتاب روض الحرون على طرة ابن بون حصلت قديما نسخة منه وسأقدمه للطبع محققا قريبا إن شاء الله وكتاب ابن بون هذا يسميه الطلبة بالاحمرار وبالطرة والجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة قيل إنه عرض عليه للتصحيح أكثر من ثلاثين مرة فكثرت نسخه لذلك واختلفت ولما أنهيت قراءته عمدت إلى نحو عمله فعملته على طريقته واكتفيت بنص الألفية وشرحتها بالتسهيل والكافية وشواهدهما واعتمدت على مذهب ابن مالك وأقواله ولم أزد كلمة من غير كلامه إلا قليلا معزوا لقائله لكثرة ما عانيت من التخليط فى الفن والخطإ فيه وسميته أحمد المسالك فى مذهب ابن مالك

الأمر الخامس جلت فى قلوب العلماء كتب ابن مالك لما انفردت به من التحري فى العزو للمذاهب وتبيينها بالاجتهاد والاستدلال عليها ومن سعة علم مؤلفها وعدم تقليده لمن تقدمه وإن نال من الشهرة أوفر نصيب

وأما البيان فقال حاجى خليفة فى كشف الظنون هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المقصود بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض وموضوعه اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد وغرضه تحصيل ملكة الإفادة بالدلالة العقلية وفهم مدلولاتها وغايته الاحتراز عن الخطأ في تعيين المعنى المراد ومباديه بعضها عقلية كأقسام الدلالات والتشبيهات والعلاقات وبعضها وجدانية ذوقية كوجوه التشبيهات وأقسام الاستعارات وكيفية حسنها وإنما اختاروا في علم البيان وضوح الدلالة لأن بحثهم لما اقتصر على الدلالة العقلية أعني التضمنية والالتزامية وكانت تلك الدلالة خفية سيما إذا كان اللزوم بحسب العادات والطبائع فوجب التعبير عنها بلفظ أوضح مثلا إذا كان المرئي دقيقا في الغاية تحتاج الحاسة في إبصارها إلى شعاع قوي بخلاف المرئي إذا كان جليا وكذا الحال في الرؤية العقلية أعني الفهم والإدراك والحاصل أن المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها

قال أحمد بن الشيخ عبد الله وخلاصة غاية هذا الفن وثمرته أنه مقوم للفكر كتقويم النحو للسان وجوامع كتب هذا الفن أمهات كتب المعاني التي تأتى إن شاء الله عند ذكر علم المعاني لأن العلماء ألفوا فيهما مقترنين

وأما الصرف أو التصريف فعلم يتعلق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة او زيادة أو صحة أو إعلال أو شبه ذلك وأول من وضعه معاذ بن مسلم الهراء وهو عم أبى جعفر الرؤاسى وخير ما وضع فيه وفى النحو كتب ابن مالك وهذان الفنان قد دخلهما الخلط والخطأ من جهة أهل النسخ والمنتحلين وجلالتهما وشرفهما مانعان من حمل خلطهما وخطإهما وكتب ابن مالك عصمة من ذلك إن شاء الله

وأما علم المعاني فهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال وأمهات كتب هذا الفن ثلاثة

أولها مفتاح العلوم للعلامة سراج الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي وضمنه سبعة فنون التصريف والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان والعروض والقافية

وثانيها الإيضاح في المعاني والبيان لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المعروف بخطيب دمشق وله شروح لا يحتاج إليها لأنه مبسوط ولأن مؤلفه جعله كالشرح لكتاب التلخيص

وثالثها تلخيص المفتاح فى المعاني والبيان لمؤلف كتاب الإيضاح المذكور ءانفا قال حاجى خليفة ولما كان هذا المتن مما يتلقى بحسن التلقي والقبول أقبل عليه معشر الأفاضل والفحول وأكب على درسه وحفظه أولوا المعقول والمنقول فصار كأصله محط رحال تحريرات الرجال ومهبط أنوار الأفكار ومزدحم آراء البال

قال أحمد بن الشيخ عبد الله فلذا تناولته أقلام العلماء بالشرح والاختصار والنظم فمن أحسن شروحه شرحان مطول ومختصر لسعد الدين التفتازانى ومن أحسن مختصراته تحفة المعاني لعلم المعاني لزين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بالعيني ومن أحسن الأنظام له نظم السيوطى عقود الجمان وشرحه بحل عقود الجمان ونظم العيني أيضا

وأما العروض فقال الخليل وهو واضعه إلا ما سيأتى عن ابن فارس فى علم الخط هو ما وافق أوزان العرب وأحسن منه رسم الدمامينى كلام وزن على قصد بوزن عربي وإنما قال على قصد لأن البيت الواحد قد يأتي به الإنسان من غير قصد الشعر فلا يكون شعرا كما روى أن رجلا كتب على كتاب للإمام المسيب بن زهير من عقال بن شبة بن عقال ويخرج به ما يوافق أوزان العرب مما جاء فى القرءان والسنة ويغنى عن قول ابن فارس أكثر من بيت لأنه أراد به ما جاء على غير قصد لأن موافقة البيتين لأوزان العرب من غير قصد على قافية واحدة لا تكون فى الغالب ولأنه يفهم منه أن العرب لا تقول بيتا واحدا عن قصد ولا أظنه يريد تقرير ذلك لأن وجوده كثير والله تعلى أعلم وأمهات الكتب فيه هي أمهات الكتب فى القافية لأن أهل العلم ألفوا فيهما مقترنين لترابطهما

وأما علم القافية فواضعه أبو عمرو بن العلاء لأنه تكلم فيه قبل الخليل وأمهات الكتب فى علم القافية والعروض ثلاثة

أولها قصيدة المقصد الجليل فى علم الخليل لعثمان بن عمر المالكي المعروف بابن الحاجب وعليها شروح كثيرة من أحسنها شرح عبد الرحيم بن حسن الأسنوى وسماه نهاية الراغب، في شرح عروض ابن الحاجب

وثانيها القصيدة المسماة الرامزة والخزرجية وعليها شروح من أحسنها شرح الدمامينى ونظمها فى بحر الرجز ابن عبدم الشنقيطي الديمانى ونزع منها الرموز

وثالثها الجزء الذي ضمنه السكاكى مفتاحه وإذا وجد كتاب الخليل واضعه فيه فلا شك أنه أحسن لأن الكتب الموضوعة فى أول وضع الفن لا تتضمن التخليط غالبا وهي كالأساس لغيرها فلا غنى عنها

وأما الخط فهو معرفة كيفية تصوير حروف اللفظ بسيطة ومركبة واختلف فى واضعه فقيل إدريس عليه السلم لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **أول من خط بالقلم إدريس عليه السلم** وقيل إسماعيل عليه السلم لما روى الناس من طريق ابن عبد البر يرفعه إلى النبي صلى الله تعلى عليه وسلم قال **أول من كتب بالعربية إسماعيل** وقيل مرامر بن مرة وأسلم بن جَدَرَة الطائيان وهما من الأنبار لقول بعضهم

تعلمت باجاد وءال مرامر وسودت أثوابي ولست بكاتب

فتعلم منهما أهل الأنبار خط الجزم وممن أخذ عليهما بشر بن عبد الملك الكندي أخو أكيدر صاحب دومة الجندل وأخذ عليه جماعة من أهل مكة لأنه قدم مكة وتزوج بها الصهباء بنت حرب أخت أبى سفيان ولذا قال رجل من أهل دومة الجندل يمن على قريش

لا تجحدوا نعماءَ بشرٍ عليكم فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخطّ الجزم حتى حفظتم من المال ما قد كان شتى مبعثرا
وأتقنتمُ ما كان بالمال مهملا وطامنتمُ ما كان منهُ منفَّرا
فأجريتمُ الأقلامَ عَوْداً وبَدْأَةً وضاهيتمُ كتَّاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمُ عن مسنَدِ القومِ حمير وما دبَّرت في الكتب أقيال حميرا

وقيل أول من وضعه أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوكا والظاهر الصحيح أن الخط توقيف أول من علمه ءادم عليه السلم لقوله تعلى **[علم بالقلم علم الانسن مالم يعلم]** وقوله تعلى **[ن والقلم وما يسطرون]** وقوله تعلى **[علمه البيان]** وقول ابن عباس أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جاد وللأثرين المتقدمين عن إدريس وإسماعيل عليهما السلم فهو علم قديم توقيف جدده الناس فنسب كل إلى ما وصل إليه علمه ومثل ذلك علم الإعراب وعلم العروض قاله ابن فارس فهي علوم قديمة لإنشاد الحطيئة قصيدة مرفوعة الآخر كلها وءاخر قصيدة مصغرة الآخر كلها ولقول الوليد ابن المغيرة في كلامه لقد عرضته على أقراء الشعر هزجه ورجزه فلم أره يشبه شيئا من ذلك ولكتابة الصحابة المصاحف على قواعد الكتاب المعروفة عند النحاة إلا قليلا خالفوا فيه القواعد فنسب علم العروض للخليل وعلم النحو للدؤلي لأنهما جدداهما

قال أحمد بن الشيخ عبد الله ويؤيد هذا القول أن أبا محمد بن حزم وأبا العباس ابن تيمية رحمهما الله تعلى قالا إن أصل كل فن الوحى وهو

قول حسن لأن من الفنون ما لا يوصل إلى حقيقته إلا بالقرون المتطاولة وواضعه لا يتصور أن يكون إنسانا واحدا من أجل الموت ولا جماعة لأن تطاول القرون يذهب بالمحفوظ من الفنون في أولها والله تعلى أعلم بل ذهب حاجى خليفة إلى احتمال توقيف النقط أيضا فينسب تجديده ليحي بن يعمر أو الحجاج أو غيرهما ممن نسب إليه وضع النقط وأما قول بعضهم وما الدال وقد قيل أنشدنا قصيدة على الدال وإنشاد أبى حية النميري

كفي بالنأي من أسماء كاف   وليس لحبها إن طال شاف

وقد قيل له أنشدنا قصيدة على الكاف فهو كجهل بعضنا بالخرم في العروض وبخلع الثلث في الفقه المالكي وبالمضاربة في الفقه الكوفي وبضمير الشأن في النحو والعلوم في زماننا معلومة مدونة وفى زمانهم غير مدونة وأنواع الخط كثيرة بعدد الأمم وألسنتها إلا أن بعضها يرجع إلى بعض في الأصل كاللسان الرومي فهو محرف قليلا من اليوناني ولكنهم يستعملون قلما غير قلم اليونانيين ولهم قلم يعرف بالساميا ولا نظير له فإن الحرف الواحد منه يدل على معان وقد ذكره جالينوس في ثبت كتبه وكذلك العبراني مشتق من السرياني قال في كشف الظنون والخط الصيني لا يمكن تعلمه في زمان قليل لأنه يتعب كاتبه الماهر فيه ولا يمكن للخفيف اليد أن يكتب به في اليوم أكثر من ورقتين أو ثلاثة وبه يكتبون كتب أديانهم وعلومهم ولهم كتابة يقال لها كتابة المجموع وهو أن كل كلمة تكتب بثلاثة أحرف أو أكثر في صورة واحدة ولكل كلام طويل شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة ورقة كتبوه في صفحة واحدة

بهذا القلم وأما فضل الخط فهو من تعليم الله وكفى بذلك شرفا وفضلا وهو لسان اليد وترجمان الخلد وقيد العلوم والحكم ومآثر ذوى الهمم وقال أرسطوطاليس عقول الرجال تحت أسنان أقلامها وأما الكتب الموضوعة في هذا الفن فهي نوعان النوع الأول كتب موضوعة في تصوير الحرف بسيطا وهى راجعة إلى قوانين هندسية والنوع الثاني كتب موضوعة في تصوير الحرف مركبا وهى في الحقيقة كتب النحو فمن برع في النحو وجد نفسه عارفا بكيفية تصوير اللفظ ألا ترى أنه إذا علم أن الفعل المعتل المجزوم بحذف حرف علته في الجزم كان على علم بحذفه وإثباته في الآيتين **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه إنما يخشى الله من عباده العلماء** فيحذف الياء من الأولى ويثبتها في الثانية ولم يبق إلا قواعد وكلمات قليلة جمعها بعض المؤلفين في النحو في أواخر كتبهم ومن أحسنها خاتمة الهجاء لتسهيل بن مالك وهمع الهوامع على جمع الجوامع للسيوطي والشافية في علمي التصريف والخط لابن الحاجب

وأما الاشتقاق فقال حاجى خليفة هو علم باحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالأصالة والفرعية باعتبار جوهرها والقيد الأخير يخرج الصرف إذ يبحث فيه أيضا عن الأصالة الفرعية بين الكلم لكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة مثلا يبحث في الاشتقاق عن مناسبة نهق ونعق بحسب المادة وفي الصرف عن مناسبته بحسب الهيئة فامتاز أحدهما عن الآخر واندفع توهم الاتحاد ثم قال ثم إنه كثيرا ما يذكر في كتب التصريف وقلما يدون مفردا عنه إما لقلة قواعده أو

لاشتراكهما في المبادئ حتى إن هذا من جملة البواعث على اتحادهما والاتحاد في التدوين لا يستلزم الاتحاد في نفس الأمر. وقد قيل باتحادهما

وأما الإنشاء ومنه الخطابة فقال حاجى خليفة هو علم يبحث فيه عن المنثور من حيث إنه بليغ وفصيح ومشتمل على الآداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة واللائقة بالمقام وموضوعه وغرضه وغايته ظاهرة مما ذكر ومباديه مأخوذة من تتبع الخطب والرسائل بل له استمداد من جميع العلوم سيما الحكمة العملية والعلوم الشرعية وسير الكمل ووصايا العقلاء وغير ذلك من الأمور الغير المتناهية هذا ما ذكره أبو الخير ومن أعظم ما يليق لمن يتعاطى بالإنشاء أن يكتب ما يراد لا ما يريد ولا بد أن يلاحظ في كتاب النثر حال المرسل والمرسل إليه والكتب المصنفة في هذا الفن وتعلمه هي أمهات الكتب المصنفة في الفنون كلها لأنه ثمرة لها وكتاب صبح الأعشى للقلقشندي كتاب جليل فيه

وأما القريض فهو الشعر وهذا الفن يقابل الإنشاء في النثر فكل ما قيل هناك يقال هنا والشعر ديوان العرب وهو حجة فيما أشكل من الوحي والشعراء أمراء الكلام يقصرون ويمدون ويقدمون ويؤخرون ويتصرفون في غير لحن وأول من قصد القصائد وطول الشعر مهلهل بن ربيعة خال امرئ القيس وقيل الأفوه الأودي وأول من بكى رجل من طيئ لم يحفظ شعره وإنما روى الناس قول امرئ القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وأول شعراء الجاهلية وهم كثير المهلهل والمرقشان الأكبر وهو عوف بن سعد والاصغر وهو عمرو بن حرملة ولم يكن امرأ القيس أشعرهم إلا أنه سبق إلى أشياء استحسنها الناس وكان الحذاق يقولون إن الفحول في الجاهلية ثلاثة وفى الإسلام ثلاثة زهير والأعشى والنابغة والأخطل والفرزدق وجرير وكل يقدم من الشعراء ويستحسن ما يراه مقدما ومستحسنا ولا يوجد اتفاق وقال يونس إن أشعر أهل الرجز العجاج ومن شعره

قد جبر الدين الإله فجبر

قصيدة في مائتي بيت ولو أطلقت لكانت منصوبة كلها ثم إن الشعراء أربعة خنذيذ وهو من يجيد الشعر ويروى جيده ومفلق وهو من لا يروى شيئا وشاعر وهو فوق الرديء وشعرور وهو رديء الشعر قال بعضهم

يا رابع الشعراء كيف هجوتني وزعمت أني مفحم لا أنطق

وقيل هم مفلق فمطبق فشويعر فشعرور وقيل شاعر وشويعر وشعرور ولبعضهم

ألا تنهي سراة بني خميس شويعرها فويلتة الأفاعي

ولما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له: أوص. فقال:

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه

يريد أن يعربه فيعجمه

ولبعضهم

الشعراء فاعلمن أربعة فشاعر لا يُرتجى لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المَعْمَعة وشاعر آخر لا يُجْرى معه
وشاعر يقالُ خمر في دعه

ومقلدات الشعراء أبياتهم الطنانة والمذهبات المعلقات لأنها كتبت بماء الذهب وعقر القصيد أجود بيت فيها ومن قديم الشعر قول العنبر بن عمرو بن تميم

قد رابني من دلوي اضطرابها والنأي في بهراء واغترابها
إلا تجئ ملأي يجئ قرابها

وقول دويد بن زيد

اليوم يبني لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحدا كفيته ياربّ نهب صالح حويته
ورب عبل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته

وقول المستوغر بن ربيعة بن كعب

ولقد سئمت من الحياة وطولها وازددت من عدد السنين مئينا
مائة من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا

وقول زهير بن جناب الكلبي

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وقول لجيم بن صعب بن على بن بكر من قصيدة مشهورة

من كل ما نال الفتي قد نلته إلا التحية

وأما علم المحاضرة فقال حاجى خليفة قال أبو الخير في مفتاح السعادة وهو علم يحصل منه ملكة إيراد كلام للغير مناسب للمقام من جهة معانيه الوضعية أو من جهة تركيبه الخاص والغرض منه تحصيل تلك الملكة وفائدته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق كلام منقول عن الغير على ما يقتضيه مقام التخاطب، من جهة معانيها الأصلية ومن جهة خصوص ذات التراكيب نفسه

قال أحمد بن الشيخ عبد الله وبهذا تعلم أن ما يسمى في زمننا محاضرة ليس من علم المحاضرة وإنما هو مذاكرة إلا في حق بعض الأحبار في هذه الأيام وأمهات كتب هذا الفن أربعة أولها محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني وهو عمدة هذا الفن بين الفضلاء وثانيها ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري وثالثها بهجة المجالس وأنس المجالس لأبى عمر بن عبد البر النمري ورابعها المحاضرات والمحاورات للسيوطي

وأما قول القاضي محمد سالم في ءاخر النظم (وفى الأخير تأريخ دخل) فمعناه أن قول المحاضر فعل كذا مستهل الشهر أو مهله أو لثلاث بقيت منه أو تسع خلت منه من علم المحاضرة لأنه من إيراد الكلام مناسبا للمقام من جهة معانيه الوضعية سالما من الخطإ في تركيبه وأما التأريخ الذي هو علم أخبار الأمم فهو من القصص وهو من دلالات الكلام وليس

علما مستقلا وهو كخبر من الأخبار إلا أنه في الوحيين إن دل على حميد الخبر كان فيه ترغيب في الاقتداء بهم وإن دل على مذموم كان فيه ترهيب من عملهم

وأما قوله وجعلوا البديع ذيلا ما استقل فإن بعض كتب المعاني المذكورة ذكرت في طياتها البديع وأول من صنف فيه أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسي وضع فيه (كتاب البديع) وكان جملة ما جمع سبعة عشرة نوعا. والله تعلى أعلم

وينشأ من هذه العلوم كلها علم الأدب فليس علما مستقلا وإنما هو نبذ منتقاة من كل فن ولذا قال الخليل بن أحمد الفراهيدي إذا أردت أن تكون عالما فاقصد لفن من العلم وإن أردت أن تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسنه وجوامع الكتب الموضوعة في الانتقاء كتاب الأمالي لأبي علي القالي وكتابا الكامل والفاضل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتابا عيون الأخبار وأدب الكاتب لابن قتيبة والعقد الفريد لابن عبد ربه ويضاف إلي ذلك الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وكذا زهر الأفنان شرح الشمقمقية وشروح الأصمعيات والمفضليات ومقامات الحريري وبديع الزمان الهمذاني وشروح الحماسة وكتب المحاضرات المتقدمة

الفصل الثاني في العلوم الطبعية

العلوم الطبعية ما يهتدى إليها الإنسان بطبعه وفكره وتسمى علوم الحكمة وهي على عدد الأمم إلا أنا لم نقف على علم من علوم الأمم إلا علوم اليونانيين لشغف المأمون بها فترجمها له حنين بن إسحاق وحكى أن المأمون رأى في منامه أرسطوطاليس فسأله عن الحسن فأجابه فلما أصبح سأل عنه فقيل حكيم يوناني فشرع في ترجمة علومهم وهي علوم الفلسفة قال حاجي خليفة علم الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، بقدر الطاقة البشرية. وهي ثلاثة أقسام الفيزياء والميتافيزيقيا والماتيما وهي كلمات يونانية وأساطين الفلسفة ومعناها حب الحكمة سبعة

تاليس (ت 547 ق م)

وأنكساغورس (ت 428 ق م)

وسقراط (ت 399 ق م) وهو تلميذ لقمان الحكيم

وأفلاطون (ت347 ق م) وهو تلميذ سقراط

وفيثاغورس (ت 495 ق م)

وأنكسيمانس (ت 525 ق م)

وأنبادقليس (ت 430 ق م)

ثم جاء متأخروهم

أرسطوطاليس (ت 322 ق م)

وذو القرنين الاسكندر الرومي (ت 323 ق م)

وثاوفرسطيس (ت 287 ق م)

ثم جاء فلاسفة الإسلام وعلامتهم ومتقدمهم الشيخ الرئيس أبو على الحسن بن عبد الله بن سينا (ت 428 هـ)

أما الفيزياء فمعناها الطبيعة وهى النظر في خصائص عالم الحس من عناصر أربعة ومن مكونة عنها وفى الاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس أو النظر في علم المادة والطاقة والحركة وكأن هذا العلم يجيب على أسئلة البشر في الكون كلها لماذا وكيف ومتى وأين وهل فهو التفسير العام فلذا كان علما كثير الفروع والفوائد وجلت منزلته وقلت حملته وعظمت الحاجة إليه ودارت ضروريات الحياة عليه وكانت فروعه فنونا مستقلة بنفسها متمنعة إلا على العاكف على جنسها الخاطب بنات نفسها قال حاجي خليفة وهي سبعة أنواع الأول علم المبادئ وهو معرفة خمسة أشياء لا ينفك عنها جسم وهي الهيولى، والصورة، والزمان، والمكان، والحكمة الثاني: علم السماء، والعالم، وما فيه الثالث علم الكون والفساد وهو ما له علاقة بالأمطار الرابع علم حوادث الجو الخامس علم المعادن السادس علم النبات السابع علم الحيوان ويدخل فيه علم الطب وفروعه سواء كان يونانيا أو عربيا ومن فروعه الفراسة وليست الفراسة هنا المذكورة في الأثر النبوي اتقوا فراسة المؤمن وهي الفراسة التي ذكرت عند علم الغيب وإنما الفراسة هنا فيها نوع كسب لأنها علم يعرف منه أخلاق الناس من أحوالهم الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء ومن علم الفراسة علم الاختلاج وعلم الأسارير وعلم استنباط المعادن والمياه ويسمي بعلم الريافة وعلم الاهتداء وعلم القيافة وهي قسمان

قيافة الأثر وتسمي العيافة وقيافة البشر لبني مدلج منها النصيب الأوفر وقيل هي مختصة بهم ومن فروعه أيضا علم الكهرباء والمغناطيسية والعلاقة بينهما وهي الكهرومغناطيسية والاتصالات

ومن علمائه المتأخرين الحسن بن الحسن بن الهيثم البصري المتوفى (430 هـ) اخترع الكاميرا وألف كتاب البصريات وأثبت انتشار الضوء من الجسم إلى العين لا العكس خلافا لأرسطو وبطليموس وإقليدس ومنهم إسحاق نيوتن (ت 1727 م) البريطاني قدر سرعة الصوت في مكان عادى بـ(298) متر في الثانية وتزداد مع الحرارة وحررت بعده سرعة الصوت بـ(343) متر في الثانية ونفى مركزية الشمس للنظام الكوني مخالفا لأرسطرخس الساموسى (ت230 ق م) وابن الشاطر ونيكولاي كوبرنيكوس وكاليليو كاليلى القائلين بمركزية الشمس ولفيلولاوس (ت 390 ق م) القائل بمركزية نار للنظام الكوني ومنهم البرت أينشتاين الالماني (ت 1955 م) أيقونة الذكاء وواضع النظريتين العميقتين الخاصةِ مخالفا نظرية إسحاق نيوتن في الزمكان فيما يتعلق بالأمواج الكهرومغناطيسية عامة والضوء خاصة والعامةِ منقحا قانون الجذب العام لنيوتن حيث تقدم وصفا موحدا للجاذبية كخاصة هندسية للزمكان وهذه النظرية من أبرز أعماله ومنهم نيكولا تسْلا الصربي (ت 1943 م) إليه يرجع كثير من العلوم التطبيقية والحرف والمهارات والفنون في هذا العصر (التكنولوجيا) وبلغ من العلم مبلغا حتي وصف بالعالم المجنون إلا أنه لم ينل من الشهرة ما نال هؤلاء المذكورون

وهذا العلم يستغرق في تحقيق مسائله الوقت الطويل لاستناده إلى الفكر المستند الى أصل مجهول واعتبر ذلك بسرعة الضوء إذ أجمع المتقدمون أنها غير محدودة حتى جاء ابن الهيثم فقال إنها محدودة ولابد لتغيره وانتقاصه في الأجسام الكثيفة ولأنه مادة محسوسة ولم يزد فوافقه أبو الريحان البيروني وتقي الدين بن معروف مطلقا وويتلوا في الأجسام الكثيفة وخالفهم رينيه ديكارت وبنى على ذلك فساد نظام فلسفته كلها لو ثبت ثم أراد كاليليو كاليلى (ت1642 م) تحديدها بمصباحين عند شخصين بينهما مسافة ميل ثم حددها اوول رومرت بـ(200000) مائتي الف كيلومتر في الثانية ثم حددها جيمس برادلي بـ(300001) ثلاثمائة ألف كيلو ميتر وكيلا في الثانية ثم حددها أرماندفيزو بـ(300013) ثلاثمئة الف كيلومتر وثلاثة عشر في الثانية ثم تقرر تحديده بـ(299792458) مترا في الثانية الواحدة مائتان وتسعة وتسعون ألفا وسبعمائة واثنان وتسعون كيلو متر وأربعمائة وثمانية وخمسون مترا في الثانية

وكتب علوم الطبيعة كثيرة بعدد فروعها وانظر علم الطب وحده فهو طب بشري ومنه ما هو ناظر إلى خواص الأشياء كالعربي ومنه ما هو ناظر إلى طبائع الأشياء كاليوناني ثم إن العلاج في الطب لا يكون إلا بالأدوية أو بالأغذية والأدوية لا حصر لها والنظر فيها كذلك من جهتين من جهة خاصتها ومن جهة طبائعها والأغذية إما نباتية أو حيوانية والنظر كذلك فيهما من جهتين من جهة خاصتها ومن جهة طبائعها والنظر في الجهتين متوقف على النظر في بلد النبات والفصل السنوي وبلد المريض وسنه والفصل

السنوي وذكوريته وأنوثيته وعادته في الغذاء وهل المرض سرى إليه من ءابائه وقس على هذا جميع المواد فهو علم جليل لا يحاط بفروعه وأمهات كتبه مؤلفات حملته المذكورين ءانفا ومنها كذلك في العصر الحديث الفيزياء بين البساطة والدهاء لضحى صالح الأردنية والفيزياء المسلية لياكوف بيرلمان الروسي وبناء الكون ومصير الإنسان لهشام طالب اللبناني والكون الأنيق لبرايان غرين الأمريكي وهي كتب غير وافية بالمقصود لأن الفن أعظم من أن يعتمد فيه على عالم واحد أو اثنين ومنها مذكرات اينشتاين إلا أن كتب العرب المتقدمين كالرازي وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي الابتداء بها أفضل ومن مجموع ما ذكر يدرك من الفن ما يكون أصولا لغيره إن شاء الله والعائق في هذا كله في هذا العصر أن هذا الفن لا يتدارس في الغالب إلا في الجامعات وإلا باللغة الإنجليزية وأمات كتب الطب اليوناني كتاب القانون لابن سيناء فهو ملجؤهم وكليات ابن رشد وموجز ابن النفيس كتابان حسنان وتذكرة الأنطاكي كتاب حافل وتذكرة السويدي لا يستغني عنها طالب طب ومن فروع الطب علم الأطعمة والمزورات وعلم الزردقة وهو علم باحث عن النبات والحيوان إلا الإنسان فتلك ثلاثة علم الفلاحة للنبات وعلم البيطرة للحيوان البري وعلم البزدرة للطيور ومن فروعه علم الأوزان والمقادير كالأوقية والدرهم وسيأتي فيهما ما يكفي ويشفي إن شاء الله وأما الطب في هذه الأيام فلا يوجد كتاب جامع له لتشعب فروعه وارتباطه بالهندسة فقد صار أكثره تطبيقيا وقليل منه نظري والمعول فيه على الاختصاص لا على الفن وجمعه

وأما الميتافيزيقيا فمعناه ما وراء الطبيعة وهي النظر في الوجود المطلق فإن كان في الإله والنبوات فهو ثيولوجيا (أي علم الاله) ومدارك هذا العلم عقلية محدودة والمسلم في غنى عنها لهداية الله له بمدارك الانبياء عليهم السلام لاتساع نطاقها ولا ثمرة لهذا العلم إلا شحذ الذهن في ترتيب الأدلة لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البرهان لمن تحصن من أخطاره والله الهادي إلى الرشاد وأمهات كتب هذا الفن كتب فلاسفة الإسلام كالفرابى والقرافي وابن رشد والكندي وقد قدمنا أن علامة القوم الرئيس ابن سيناء

وأما الماتيما فمعناها ما يمكن للمرء عرفانه أو ما الذي تعلم وهو علم المقادير ولما استعملته العرب في تقسيم الرياض سمى بالرياضيات وقيل سمي بذلك لأن من عادات الحكماء أن يرتاضوا به في مبدأ تعاليمهم إلى صبيانهم لأنه يعود علي الصدق لأن نتائجه لا تقبل الخطأ وهو أربعة أقسام

العدد

والهندسة

والموسيقى

والهيئة

أما العدد فمن فروعه صناعة الحساب والجبر والمقابلة والأرتماطيقي

فصناعة الحساب صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق

ومن كتبه كتاب الحصار الصغير ورفع الحجاب لابن الحجاب المراكشي ومعاملات الزهراوي وابن السمح وأبي مسلم بن خلدون والجامع للرازي

والجبر والمقابلة صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم واضعه الخوارزمي ومن أحسن الكتب فيه كتاب القرشي شرح كتاب أبى كامل شجاع بن أسلم الموسوم بالشامل وأول من صنف فيه محمد بن موسي الخوارزمي

والارتماطيق معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف ومن فروعه علم الأوفاق والأعداد المتحابة

واعلم أنه لابد لكل عدد من شكل يدل عليه وقد اختلفت الأمم في ذلك والمعلوم عند العرب بعد انقضاء صدر الإسلام من ذلك خمسة أشكال

أولها الشكل الهندي الذي تدل الدال المتجهة إلى فوق على سبع فيه وإلى أسفل على ثمانية فيه وتدل الدائرة على خمس فيه والنقطة على صفر فيه وكان مستعملا في بلاد المشرق مما يحاذى بلاد الهند

وثانيها الشكل الخوارزمي المبنى على عدد الزوايا الذي تدل الدائرة على صفر فيه وهو المعلوم الآن في كثير من أقطار العالم ويعزى وضعه للعالم محمد بن موسى الخوارزمي

وثالثها الشكل الغباري الذي نظمه بعضهم بقوله

ألف وحاء ثم حج بعده عو وبعد العو عين ترسم
هاء وبعد الهاء شكل ظاهر يبدوا كمخطاف إذا هو يوسم
صفران ثامنها إذا ما ركبا والواو تاسعها بذلك تختم

ونظمه بعضهم بقوله

ألف وحاء حج عو عين هاء مقلوب واو صفرتان وواو

ورابعها حروف (وهدفي حساب) فقد اختارها بعض المغاربة في السنة التي تدل عليها هذه الحروف للدلالة على الأعداد والصفر في هذين النوعين نقطة أو دائرة وهذه الأنواع الأربعة للدلالة من صفر إلى تسع

وخامسها الأحرف الهجائية على الترتيب المستعمل في حساب النيم وفى السيمياء أو على الترتيب المستعمل عند المغاربة وهو أيقغ بكر جلش دمت هنث وسخ زعذ حفض طصظ وبه أرخ بعض الظرفاء وفاة السلطان برقوق فقال وفاة برقوق (في المشمش) يعنى (801) وبه أرخ بعض الظرفاء أيضا وفاة شاعر يسمى الدلنجاوى فقال

سألت الشعر هل لك من صديق وقد سكن الدلنجاوي لحده
فصاح وخر مغشيا عليه وأصبح راقدا في القبر عنده
فقلت لمن يقول الشعر أقصر لقد أرخت (مات الشعر بعده)

يعني (1123) وهذا لا دلالة فيه على الصفر إلا مركبا وتدل على الأعداد من واحد إلى ألف وهذه الأنواع كلها لا تعرفها العرب لأنهم لم يشتغلوا بهذا الفن لقول النبي صلي الله عليه وسلم إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب إلا إن قيل إن واضعها عرب لاحتياجهم إليها وذلك بعد انقضاء صدر الإسلام وبعد صدور هذا القول الطيب

واعلم أنه لابد لكل معدود في صناعة الحساب من أفراد اصطلاحية وهي الوحدات إما في الأشخاص أو المسافات أو المكيلات أو الموزونات أو

الحر أو البرد أو الرطوبة أو الزمن أو الفلك أو السوائل أو غير ذلك مما يحتاج له كمقاييس الزلازل وسرعة الجاريات فأفراد الأشخاص بكمال خصائص الشخص ووحدات المسافات كانت بالبريد والفرسخ والميل والغلوة والباع والذراع والشبر وتحديدها المتر متعذر لاختلاف الأذرع والميل الدولي (1609.344) ألف وستمائة وتسعة أمتار وكسر ثلاثمائة وأربعة وأربعين سنتيما وهو أقل الميل العربي والميل البحري (1852) ألف وثمانمائة واثنان وخمسون مترا وكانت في المسح بالعشير والقصبة وتسمى قفيزا والجريب وكانت بالقدم وهي مختلفة باختلاف البلدان وليست عربية والدولية منها (30.48) ثلاثون وكسر ثمانية وأربعين سنتيما وكل ثلاثة أقدام ياردة واحدة وست وثلاثون بوصة ثم حل المتر محل جميع وحدات المسافات والمسح فقيل الآر لعشرة أمتار في عشرة والهكتو آر لمائة في مائة فاستقر التحديد منذ (1795 م) بالنظام المتري الإنكليزي ووحدات المكيل كانت بالمد والصاع والقسط والفرق والقفيز والمكوك والمدى والويبة والكيلجة والإردب والجريب والكر فالكر سبعمائة وعشرين صاعا أو تسعمائة وستين صاعا والجريب إردبان والإردب أربعة وعشرون صاعا والكيلجة قريبة من ثلثي صاع والويبة اثنان أو أربعة وعشرون مدا والمدى اثنان وعشرون صاعا وقسط والمكوك صاع ونصف وهو الأصح أو نصف الويبة والقفيز اثنا عشر صاعا والفرق كفلس وفرح ثلاثة آصع والقسط نصف صاع والصاع أربعة أمداد والمد حفنة يدين متوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين ثم نقلوا المكيلات إلى ما كانت عليه وحدات الوزن كالطسوج والقيراط والدانق والدرهم والنواة والمثقال والأوقية

والنش والرطل والمنا والاستار لتحفظ وتضبط وتنقل لكنهم اختلفوا في المد فجعله الجمهور رطلا وثلثا وجعله أبو حنيفة رطلين ثم استغنى عن هذه الوحدات كلها بالجرام بالجيم العجمية ويجوز أن تنطق وتكتب بالكاف وبالجيم وبالغين كجالينوس وكاليلو كاليلي والأحسن أن تكتب جيما لأنها وردت كذلك في مرسوم الصحابة وأجمع عليه في كلمة الزنجبيل وهي عجمية والجرام معلوم في هذا العصر وتنزيل الوحدات المذكورة عليه غير متعذر بشرطين

أولهما إن كانت الوحدات شرعية إذ لا حصر لغيرها

وثانيهما أن تكون مستندة إلى مسائل الاجماع في هذا الباب إذ لا مستند غيره لها

وعلى هذين الأصلين فاعلم أن الاستار أربعة مثاقيل ونصف والمنا رطلان والرطل اثنتا عشرة أوقية والنش نصف الاوقية وأوقية الفضة أربعون درهما والنواة خمسة دراهم والطسوج نصف القيراط والقيراط نصف الدانق والدانق سدس الدرهم وأجمعوا أن الدرهم الشرعي إن زادت عليه ثلاثة أسباعه كان مثقالا وهو وزن الدينار الشرعي وأن المثقال إن نقصت منه ثلاثة أعشاره كان وزنه وزن درهم شرعي فوجب أن يكون وزن الدينار (4.25) أربعة غرامات وكسر خمس وعشرين وأن يكون وزن الدرهم (2.975) غرامان وكسر تسعمائة وخمسة وسبعين وأجمعوا على مفهوم ما نظمه بعضهم بقوله

بوزن خمسين من الشعير بع عشرين دينارا وخمسين تبع

ومنه حساب الضغط الجوي ولكل 1 سنتيما مربع كيلو بسكال ووحدات درجات الحرارة مختلفة اختلافا معنويا باختلاف مقاييسها المختلفة فيما تعتبره في القياس كمقياس دانيال غابرييل فهر نهايت (ت 1736 م) ومقياس لورد كلفن (ت 1907 م) والمعروف في العالم مقياس أندرس سلسيوا السويدي (ت 1744 م) الذي يعتبر مائة آخر درجات البرد والصفر أول درجات الحرارة فسميت بالدرجات المأوية وكانت معروفة بالسنتجراد والطبيعي منها في جسم الانسان 37 فوق الصفر وهو ما يعادل 98.6 فهرنهايت 415.15 كلفن ولجعل المأوية فهرية فاضربها في تسع واقسم الناتج على خمس وزد 32 ولجعل الفهرية مأوية فاعكس ذلك ووحدات درجات الرطوبات مأوية ووحدات الزمن كانت بالدرجات والدقائق والساعات المعوجة والمستقيمة ثم صارت اليوم بالساعات المستقيمة والدقائق والثواني المعلومة وكل درجة أربع دقائق وكل دقيقة قديمة فهي جزء من ستين جزءا من الدرجة ووحدات الفلك واحدتها مائة وخمسون مليون ألف متر بعدنا عن الشمس ووحدات السوائل كانت بالقلة والقربة ثم صارت باللتر وهو ملء ذي أبعاد ثلاثة طولها عُشُر متر 10×10 سنتيما يسع الف غرام من الماء بدرجة 3.98 مأوية والأعداد لا نهاية لها وإن كانت متناهية وإنما يتوصل إليها فيما فوق الألف بالعربية بتضعيف الألف وانتشر في هذا العصر تعريب المليون والمليار والتريليون والكدريليون والكوينتيليون والسكستليون والسبتيليون وقد وضع المكتب الدولي للوحدات والمقاييس بعد (1960 م) سوابق للتقليل من عدد الاصفار التي هي كسور وهذا القدر منبه على أصول الوحدات وهي علوم

جمة لا يكتفى طالبها ويكثر الخطأ فيها وقل في هذا العصر أهل التصحيح والتحرير وكثر أهل النقل والتخليط ولنرجع إلى ما كنا فيه من أقسام الرياضيات فنقول

وأما الهندسة وهي جو مطريا فهي النظر في المقادير المتصلة والمنفصلة فمنها البصريات والأشكال الكروية والمخروطات والأصل في هذا العلم كتابا اوقليدس الاصول واسمه الاسطروشيا والأركان واختصرهما الناس وشرحوهما ومن فروعه علم تسطيح الكرة وعلم جر الأثقال

وأما الموسيقى فعلم إيجاد أصناف الألحان محسوسة في الآلات المعدة لها بالطبع أو بالصناعة ويقال إنها لا فرق بينها وبين الشعر إلا أن الموسيقى فصل الزمان بالإيقاع والشعر فصل الزمان بالنطق بالحركات وواضع هذا الفن الحكيم فيثاغورس ثم وضع فيه أرسطوا ءالته الآرغنون وكان غرضهم من استخراج قواعد هذا الفن تأنيس الأرواح والنفوس الناطقة إلى عالم القدس لا مجرد اللهو والطرب

وأما الهيئة فاستدلال بحركات الكواكب على هيئاتها فإن استدل بحركاتها على مواضعها في أفلاكها فهو علم الأزياج ويخرج منه علم أصطرلاب بالصاد أو بالسين وهي كلمة يونانية ومعناها ميزان الشمس أو مقياس النجم ويقال أصطرلافون ومعناه مرءاة النجم وقيل إنه كان لإدريس ابن ماهر في هذا الفن يسمي لاب فاطلع إدريس عليه السلام علي عمله فقال من سطره فقيل لاب فقيل اسطرلاب قال حاجي خليفة وقيل أول من وضعه بطلميوس وأول من عمله في الإسلام إبراهيم بن حبيب الفزاري ومن

الكتب المصنفة فيه: (تحفة الناظر) ، و (بهجة الأفكار) ، و (ضياء الأعين).
قال هو علم يبحث فيه عن: كيفية استعمال آلة معهودة، يتوصل بها إلى معرفة كثير من الأمور النجومية، على أسهل طريق، وأقرب مأخذ، مبين في كتبها كارتفاع الشمس، ومعرفة الطالع، وسمت القبلة، وعرض البلاد، وغير ذلك فهو ءالة علم البنكامات وهو علم الساعات ويخرج منه علم التقويم ومن مسائل علم التقويم علم التعديل أو على الحوادث مطلقا فهو التنجيم أما علم الهيئة والازياج فمتقاربان ولعلهما فن واحد وهو فن محتاج إليه في كثير من الأمور الشرعية والنظر فيه محمود قائد إلى كمال الإيمان باعث على التعظيم سائق إلى الخشية ولكن الإغراق فيما لا يحتاج إ ليه منه مذموم لأن **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه والله يعلم وأنتم لا تعلمون ويخلق ما لا تعلمون** وأقدم الكتب فيه المجسطى لبطليموس(ت150 ق م) وهو ثلاث عشرة مقالة وأجمعها تعاليم الشفا لابن سيناء وهو كتاب حسن في جل العلوم العقلية مختصر لها ثم لخصه مؤلفه في كتاب النجاة وكتاب الإشارة وزيج الخوارزمي الأول المعروف بالسند هند والثاني وهو المعول عليه ومن فروع الهيئة الجغرافيا وهو علم ذكر الأقاليم والأنهار ومواضعها وساكنيها وعوارضهم أو علم بأحوال الأرض ولبطليموس كتاب فيه سماه الجغرافيا فسمي العلم باسم الكتاب ومعني الكلمة وهي يونانية صورة الأرض ومن فروع الجغرافيا علم البرد والمسافات وقد تقدم بحثها ومن فروع الهيئة علم الأبعاد والأجرام قال حاجي خليفة ومن المختصرات فيه سلم السماء وهو علم يبحث

فيه عن أبعاد الكواكب عن مركز العالم ومقدار جرمها ولكن مستند هاذين الفرعين الهندسة وموضوعهما الفلك فكأن علم الهندسة ءالتهما

وأما التنجيم فعلم ثبت بالتجربة وفاقا لبطليموس لا بالوحى خلافا للقائلين أصل كل علم الوحي وهو علم الأحكام قال حاجي خليفة هو الاستدلال بالتشكيلات الفلكية من أوضاعها وأوضاع الكواكب من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس، والتربيع على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد في أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان. وهذا العلم من أهل العلم من منعه مطلقا والذي يقتضيه النظر في الشرع جواز ما ثبت بالتجربة منه وحظر ما كان منه فيه إسناد التأثير إلى الكواكب منفردة أو مع الله عز وجل **تعلي الله عما يشركون** ويحاذي المحظور منه وليس منه في شيء خط الرمل وحساب النيم الذي اشتهر فيه بين الناس قول بعضهم

أري الزوج والأطراف يسموا أقلها وأكثرها عند التخالف غالب
ويغلب مطلوب إذا الزوج يستوي وعند استواء الفرد يغلب طالب

والزايرجتان السبتية والسهلية المبنيتان على بيت مالك بن وهيب

سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذا غرائب شك ضبطه الجد مثلا

ومن فروعه علم الاختيارات وموضوعه الأوقات السعيدة والنحسة وضعت فيه كتب كثيرة من أكثرها فائدة اختيارات المظفري وهو كتاب فارسي وعلم الأدوار والأكوار والدور في اصطلاحهم ثلاثمائة وستون سنة شمسية والكور مائة وعشرون سنة قمرية

ومن علوم الهيئة علم من علوم الكلدانيين والسريانيين مندرس لتتابع الملل على حظره لضرره واشتراط الوجهة فيه لاستجلاب روحانية الكواكب واعتقاد التأثير فيها من غير الله أو معه وهو علم السحر والطلاسم وإنما أدرج هنا لارتباطه الشديد بالنجوم والفلك وهو فن دقيق يتبين إن شاء الله تمييزه عن غيره بأمرين أولهما ضرره المتمحض فلا خير فيه البتة وثانيهما ارتباطه بالنجوم فكل ما كان مرتبطا بشدة بالنجوم وخفي علي أكثر الناس فهو سحر ويعرفه أصحابه بتعريف غير جامع ولا مانع ولكن إن ضم إليه هذان الشرطان تبين أمره بعون الله فيقولون إن كل ما خفي علي عقول الأكثر سببه وصعب استنباطه فهو سحر فالصواب أن يقال ما خفي علي عقول الأكثر سببه وصعب استنباطه وضر وكان السبب فيه فلكي فهو سحر ولذا قال النبي صلي الله عليه وسلم **من اقتبس علما من النجوم، اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**. فالعلم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثير في عالم العناصر سحر إن كان بغير معين. وطلسم إن كان بمعين من الأمور السماوية أومن الأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف أو الأعداد ومعنى الطلسم عقد لا ينحل وقيل مقلوب اسمه أي المسلط لأنه من القهر والتسلط ومن الطلاسم علم الفلقطيرات وهي خطوط طويلة عقدت عليها حروف، وأشكال أي حلق، ودوائر وزعموا أن لها تأثيرات بالخاصة وبعضها مقروء. وشعوذة وشعبذة إن كان التأثير في القوى المتخيلة فالتأثير بالسحر بالهمة المكتسبة بالرياضة بالتوجه إلى العوالم العلوية والسفلية بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع فهو اتحاد روح بروح وبالطلاسم بمعين من مزاج

الافلاك أو العناصر أو خواص الاعداد ومن ربط الطبائع العلوية بالسفلية فهو اتحاد روح بجسم وواضعه أرشميدس وبأحدهما في القوى المخيلة شعوذة وهذا التأثير ليس غريبا لعدة أمور

أولها مجيء الشرع به كالسحرة الذين ءامنوا بموسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

ثانيها عداوة الجن للإنس يتعقل منها مسارعة الجن في ضرر الإنس على وجه العموم وإن استخدموا على وجه الأولوية وهذا يوجب سهولة استخدامهم وأوسع أبوابه الشرك بالله عز وجل والجن كلهم أبناء إبليس وهو أصلهم خلافا لابن عباس في كونه من حي من الملائكة يقال لهم الجن ولشهر بن حوشب في كونه أسر بعد طرد الملائكة الجن وللخليل في كون أصلهم الجنان بل الجنان مسخ الجن وكان في الارض الحن والبن فسلط الله عليهم الجن فأبادوهم وسكنوها وهم أجسام رقاق صافية هوائية بلا ألوان ولا يرون عند أكثر أهل العلم لآية الأعراف وذهب بعضهم إلى جواز ذلك وأما الملئكة فرؤيتهم لا تختص بالأنبياء والله تعلى أعلم والشياطين متصرفون في الهيئات كتصرف الإنس في الحركات منهم مؤمنون يجازون بالجنة لا بعدم التعذيب بالنار خلافا لأبى حنيفة وكافروهم منهم شياطين ولم يبعث إليهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم أنبياء منهم خلافا لأبى محمد بن حزم

ثالثها خلق الله عز وجل لهذا التأثير من فعله في خلقه امتحانا لبعضهم واختبارا لآخرين وفتنة لبعضهم وتثبيتا لآخرين ورفعا لبعضهم ولعنا لآخرين وفعله في خلقه لا علة له سبحانه **لايسئل عما يفعل وهم يسئلون**

رابعها يوجب جواز هذا التأثير تأثير العين المشاهد العظيم ضرره وقد ثبتت في الشرع وهي فطرية قال محمد عالي

فائدة حقيقة العين نظر مستحسن بحسد شيب صدر

من الخبيث الطبع يحصل الضرر

وما قاله فيه نظر من جهتين أولاهما أن ابن العربي قال إن العين لا تقع إلا بعد الكلام لا بمجرد النظر وحده وابن عبد البر قال إنها تقع بمجرد الإعجاب أو الحسد وثانيهما كون ذلك من خبيث الطبع فإن الظاهر أن ذلك لا يختص بخبيث الطبع لأنه كان في بعض صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا يمكن أن تكون طباعهم خبيثة بحال وتأثيرها بفعل الله وخلقه وإذنه عند عقلاء الأمم لا بانبعاث قوة سمية من العين خلافا لبعض الطبعيين وعلى قول العقلاء فلا عرض هناك لأنه لا يقبل الانتقال وأما وجود جواهر خفية هناك فمن مجوزات العقول فلا يقطع بوجودها ولا بنفيها وإنما يقطع بنفي الفعل عنها لأن الجواهر متجانسة فليس بعضها بأن يكون مفسدا لبعضها بأولى من عكسه فإذا كانت العين تؤثر من غير قصد من صاحبها فلا ينكر أن يوجد مؤثر بقصد على الوجه الأولى ولا يقتل إن قتل إذ لا يستطيع دفعها عن نفسه بخلاف الساحر والولي أما قتل الولي بكرامته فمحال عندي لأنه لو قتل لانقلب دليل الكرامة شبهة وهو محال كما تقدم فلا يمكن أن يقتل بكرامته وقولهم لو قتل هو كالحكم على المستحيل الذى لا يكون نحو لو ءامن أبو لهب لدخل الجنة وهو موجود في الشرعيات فمنه قول الله تعلي **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخسرين**

خامسها قول العرب البلاء موكل بالمنطق وهو مشاهد تصديقه في الحس

وأما التشاؤم والطيرة والعدوى فلا تأثير لها وهي باب واحد وأصل التطير زجر الطير ومروره سانحا أو بارحا ثم تطيروا من كل شيء إن غلب عليهم الإشفاق وتفاءلوا إن غلب عليهم السرور والفأل حسن ومنهم من لا يتطير قال زبان بن سيار

تخبر طيرة فيها زياد لتخبره وما فيه خبير
أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا علي متطير وهو الثبور
بلي شيء يوافق بعض شيء أحايينا وباطله كثير

وقال الحارث بن حلزة

يايها المزمع ثم انثني لا يثنك الحازي ولا الشاحج
ولا قعيد أعضب قرنه هاج له من قرنه هائج
بينا الفتي يسعي ويسعي له تاح له من أمره خالج
يترك ما رقح من عيشه يعيث فيه همج هامج
لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

وقال المرقش السدوسي

ولقد غدوت وكنت لا أغدوا على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم

وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

وأما العدوى فمنفية التأثير اتفاقا والوجود خلافا للشافعية وسقم المجالس للمريض باشتداد تغير رائحته عند الأطباء لاستعداد البدن أو سرعة انفعال الطبيعة عن المجاورة لأنها نقالة أو شدة الخوف والوهم لا بالعدوى المنفية لأنهم أبعد الناس عن اليمن والشؤم ولم يبق من علوم السحر وكتبه إلا كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ثم أخذه الناس منها فتفننوا فظهر ساحر المشرق جابر بن حيان وألف رسائله وأظهر علم الكيمياء من كمي الشهادة أي كتمها وقيل أصله كيم يه أي أنه من الله فقيل له علم جابر لأنه جدده وهو حل الأجسام إلى الإكسير وإلقاؤه على الجسد المستعد لقبول صورة الإكسير بالاستعداد القريب ليصير مثله فهو جسد في جسد والإكسير معناه الاجزاء الطبيعية للمحلول ويسمونه الروح والجسد معناه الجسم الملقى عليه الأجزاء الطبيعية وقد كتب بعض من جرب وتعب في هذا الفن على مصنفات جابر

هذا الذي بمقاله غر الأوائل والأواخر
ما أنت إلا كاسر كذب الذي سماك جابر

فاختلف الناس فأحال ابن سيناء وابن تيمية والكندي هذه الصناعة لأن موضوعها الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والدراصينى وهي فصول مختلفة الأنواع ولا يكون إيجاد الفصول الا من قبل

بارئها جل جلاله وأجازها الفرابي ومحمد بن زكرياء وفخر الدين الرازيين والطغرائي لأنها فصل واحد مختلف الخواص وعلى القولين فهي حيلة لم توجد على ممر الأزمان ومن السحر لأمرين

أولهما اهتمامهم بالإكسير كاهتمام الفلاحين في القديم بالخواص إذ كانت الفلاحة من السحر

وثانيهما إلغازهم بألفاظهم حذرا من إنكار الشرائع عليهم وهو قميص يتقمص به كل ذي فن خاف الإنكار ولذا قيل إن مقامات الحريري وكتاب كليل ودمنة رموز في الكيمياء وأركان هذا الفن هل تكون ومن أي شيء تكون ومن أي كيف تكون وظهر ساحر المغرب مسلمة بن أحمد المجريطي فألف غاية الحكيم والإيضاح في السحر ورتبة الحكيم في السيميا وهو من السمة وهى العلامة وهو علم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثير في عالم العناصر والطبيعة بمعين من حروف أو أعداد قال ابن خلدون وأول من أفرد الطلسمات أهل التصرف من المتصوفة كابن العربي واليوناني في كتابه الانماط فجعلوا مكان التوجه إلى الكواكب التوجه الى الحروف فرارا من السحر واسمه فوقعوا فيه لأنهم لم يبعدوا كل البعد عن اعتقاد التأثير لغير الله لتحريهم المناسبة في الأسرار و لتحريهم الأيام والساعات ولقصدهم التصرف في عالم الكائنات وهو محظور ولهذا اختلف الفقهاء في قتل السّاحر هل هو لكفره السّابق على فعله أو لتصرّفه بالإفساد وما ينشأ عنه من الفساد في الأكوان ولاختلافهم في سر التصرف بالحرف أبمزاجه أو نسبته العددية أو بالذوق والكشف لعسر فهمه وبهذا تعلم أن علم

الحرف من فروع السيمياء لأن سر الحرف عبارة عن استخراج خدامه وأدعيته بتكسيره وبسطه قال ابن خلدون إنه لا يوقف على موضوعه ولا يحاط بالعدد مسائله

ومن السيمياء استخراج الاجوبة من الاسئلة بالزيارج وغيرها وحساب النيم والاعداد المتحابة وهي مساواة مجموع ما قسم عليه أحدهما بلا كسر للآخر ولا يوجد إلا في عددين عند أهله ولا يلتفت إلى قول ابن عرفة القائل إن عمل الأعداد المتحابة ليس من السحر إذ لم يبين مأخذه وإنما أطلق الحكم فى عمل شيء مجهول لأن الأعداد لا تمكن الإحاطة بالمتحاب منها من غيره وإن كانت متناهية لكثرتها وعلوم السيمياء قال الأنطاكي أكثر من ثلاثين علما وهي فرع من علم العدد من حيث الحساب في الحرف أو العدد ومن علم الخواص من حيث الخاصية ومن فروع علم السحر علم استنزال الأرواح واستحضارها في قوالب الأشباح قال حاجي خليفة واعلم أن تسخير الجن أو الملك من غير تجسدها وحضورها عندك يسمى علم العزائم بشرط تحصيل مقاصدك بواسطتها. وأما حضور الجن عندك وتجسدها في حسك يسمى علم الاستحضار ولا يشترط تحصيل مقاصدك بها وأما استحضار الملك فإن كان سماويا فتجده لا يمكن إلا في الأنبياء وإن كان أرضيا ففيه الخلاف كذا في مفتاح السعادة ومن الكتب المصنفة كتاب ذات الدوائر وغيره. ومن فروعه أيضا علم تعلق القلب وهو أن يظهر بعض الناس لمن في عقله خفة أنه يعرف الاسم الأعظم أو أن الجن تطيعه ومن فروعه أيضا علم الحيل الساسانية وهو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع،

وتحصيل الأموال ومن فروعه أيضا علم الخفاء وهو معرفة كيف يخفي الشخص نفسه عن الحاضرين بحيث يراهم ولا يرونه

ولا ثبات للساحر وسحره أمام المؤمن وإيمانه القوي واعتبر ذلك بالسحرة الذين ءامنوا بموسى وبما سحر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبالوفق المئينى يوم القادسية ومن مناكير أفعال السحرة أن يجعلوا إنسانا فى دن مملوء بدهن السمسم ويمكث فيه أربعين يوما يغذي بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه إلا العروق وشئون رأسه فلا يسأل عن شيء حين يخرج إلا أجاب عنه

وآلة هذه العلوم العقلية المنطق وجعله قوم آلة للعلوم النقلية لأنه يقوم الفكر ويمنعه من الخطأ وكتبه المشهورة الآن السلم لعبد الرحمن الأخضري ومتن إساغوجى بشروحهما وبعض المصنفين فيه حذف المقولات العشر

فصل في العلوم الفعلية

الفعلية السياسة المدنية وهي تدبير المدينة أو المنزل بمقتضى الأخلاق والحكمة بحمل الجمهور على منهاج يحفظ النوع وهي نقلية أو طبعية في الأصل فهي ءائلة إلي القسمين الأولين ونتيجتهما

أما تدبير المدينة فتجمعه كلمات أرسطو الثمانية العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحيا به السنة والسنة سياسة يسوسها الملك والملك نظام يعضده الجند والجند أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية مَوَالٍ يكنفهم العدل والعدل مألوف وبه قوام العالم والعالم بستان سياجه الدولة ومن فروع هذا العلم علم ترتيب العساكر

واستيلاء الدول إما بدين ودعوة حق أو سطوة مهلكة وشرط استمرارها وجود سبل المعاش الأربعة من ولاية وفلاحة وتجارة وصناعة لأن الانسان مدني بالطبع

أما الولايات فمنها الوزارة والامارة والظلامة والحسبة والقضاء والنقابة وولايات الشعائر الدينية وغيرها مما احتيج إلى استحداثه ووافق عليه عظيم الدولة واختلفت مناهج المؤلفين فيها فبعضهم يؤلف في أحكامها وبعضهم في أنواعها وأحكامها وبعضهم في الامامة العظمى فقط وبعضهم فيما يقع بين المتداعيين واعتبر ذلك بمنظومة محمد بن عاصم والفصول التي يضعها أهل العقائد في تصانيفهم وبالأحكام السلطانية للماوردي والأحكام السلطانية للقاضي ابى يعلى

وأما الفلاحة فمصدر رزق الله لأن الانسان لا يأكل إلا نباتا أو حيوانا وهي من فروع الطب كما ذكر إلا أنه مر عليها عصر من العصور لا يعتني بها إلا السحرة لأن السحر تدخله التراكيب كثيرا

وأما التجارة فشراء الرخيص وبيع الغالي ومن فروعه علم الاقتصاد

وأما الصناعة فالتزام أمين حرفة يجيدها كالخياطة والبناء والنجارة والحدادة واللحامة والجزار والقصاب والحطاب وما استحدث منها كثير كالصحافة والقيادة للجاريات برا وبحرا وجوا والفروسية والطبخ وحمل السلاح

وأما تدبير المنزل فالمقصود منه التآلف المخصوص، الذي يكون بين الزوج والزوجة والوالد والولد والخادم والمخدوم والمتمول والمال سواء كانوا من أهل المدر أو أهل الوبر قاله حاجي خليفة وكتب الأخلاق كفيلة بقواعده وفصوله وهي ما يعنون له المصنفون بكتاب الجامع فقد ختم به مالك موطأه وتبعه الناس علي ذلك ككتاب الجامع في الرسالة والكافي وللشيخ خليل الجندي كتاب الجامع منفردا عن مختصره في الفقه وشرحه التاودي بن سودة فأجاد في شرحه ونظمه الشيخ محمد سالم بن عدود فختم به نظمه لمختصر خليل وشرحه شرحا مختصرا حسنا ومن تلك الجوامع الآداب الشرعية لابن مفلح والأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم والآداب للبيهقي وفصول الآداب ومكارم الأخلاق لأبي الوفاء ابن عقيل والجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى سائر أنبيائه ورسله وأصحابهم وأتباعهم ومن أحبهم إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

سبحن ربك رب العزة عما يصفون وسلم علي المرسلين والحمد لله رب العلمين

هذا ءاخر كتاب الإحصاء فى أنواع الفنون والعلوم باستقصاء

كان الفراغ منه بحمد الله وفضله ليلة الاربعاء قبيل العشاء قرب عين فربة فى جدة ٢٠٢٣ / ٢٤ / يناير/ ١٤٤٤ / ٠٣ رجب ختم الله لي ولقارئه وناسخه والناظر فيه وسامعه وطابعه ولكل من أحب العلم وأهله بالحسنى ولا حول ولا قوة إلا بالله___